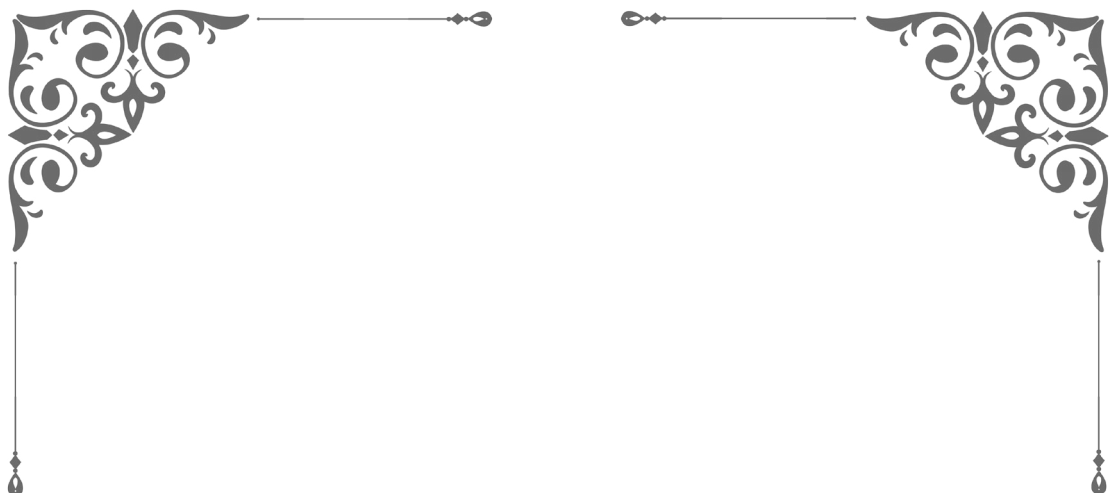


شرح مختصر لأذكار وأدعية الصلاة من التكبير إلى التسليم

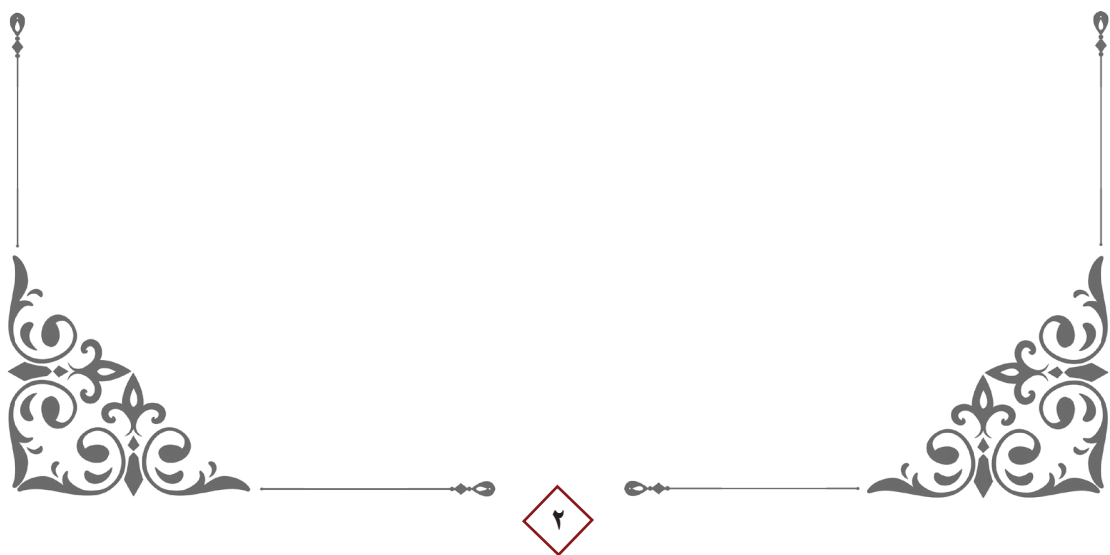
من كتب
فضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ

جمع وترتيب
مساعد بن عبد الله السلطان

الطبعة الأولى
١٤٤٢ هـ / ٢٠٢١ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . أما بعد :

فهذا شرح مختصر لأذكار وأدعية الصلاة من التكبير إلى التسليم، جمعته لك - أخي القارئ الكريم - من كتب شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، رجاء الانتفاع به .





من أذكار وأدعية الصلاة

﴿باب ما جاء في تكبيرة الإحرام﴾

📖 عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا كبر للصلاة سكت هنيهة....» الحديث، متفق عليه.

🌸 الشرح

قول أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا كبر للصلاة سكت هنيهة» يريد بذلك تكبيرة الإحرام، ومعنى «كبر» أي قال «الله أكبر» ومعناها: أَنَّ الله تعالى أكبر من كل شيء في ذاته وأسمائه وصفاته، وكلُّ ما تحتمله هذه الكلمة من معنى.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (١٠٤)



[الأنبياء: ١٠٤] ومن هذه عظمته فهو أكبر من كل شيء. وقال الله

تعالى: ﴿وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٣٧)

[الجاثية: ٣٧]. فكل معنى لهذه الكلمة من معاني الكبرياء فهو ثابت

لله عَزَّوَجَلَّ. (١)





﴿باب ما جاء في أدعية الاستفتاح﴾

📖 عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا كبر للصلاة سكت هنيهةً قبل أن يقرأ، فسأله، فقال: «أقول: اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد». متفق عليه.

🌸 الشرح

قوله: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب»، «اللهم» يعني يا الله، «باعد بيني وبين خطاياي» أي: اجعلها بعيدة عني، «كما باعدت بين المشرق والمغرب» وهذا أبلغ ما يكون في البعد كما قال الله تعالى في القرآن: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ [الزخرف: ٣٨] باعد بيني وبينها حتى لا أفعلها؛ لأنها بعيدة المنال .



و«الخطايا» جمع خطيئة، وهي ما حَطِيَ به الإنسان؛ أي: فعله عن عمد، وأما ما أخطأ به فهو ما فعله عن غير عمد.

«اللهم نقني من خطاياي كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس»
هذه الجملة في الخطايا المتلبس بها.

وقوله: «نقني من خطاياي» أي: خلصني منها، «كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس». وخصَّ الثوب بالأبيض؛ لأنَّ الأبيض يظهر عليه أثر الدنس أكثر مما يظهر على غيره، ولهذا تجد الإنسان إذا لبس الثياب السوداء في الشتاء يغسل الثوب بعد شهر تقريباً، بينما إذا لبس الثياب البيض في الصيف يغسله كل أسبوع أو أقل؛ لأنَّ الأبيض يؤثر فيه الوسخ أكثر من غيره، ويظهر فيه أثر الوسخ أكثر من غيره، فلهذا قال: «كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس» يعني الوسخ، فهذه الجملة تنقية للإنسان من الذنوب.

قال: «اللهم اغسلني بالماء والثلج والبرد» وهذه الجملة في غسل أثر الذنوب أي أن يزيل الأثر نهائياً فهذا:



- خطايا لم يتلبس بها الإنسان، يقول فيها: «**باعد بيني وبين خطيائي**».

- خطايا تلبس بهذا يقول فيها: «**اللهم نقني**».

- خطايا تنقى منها وتخلص وتركها، فيحتاج إلى غسل يزيل أثرها بالكلية يقول فيها «**اللهم اغسلني**»، وهذا ترتيب طبيعي مناسب للواقع.

وقوله: «**بالماء**» الماء معروف، «**والثلج**»: الثلج: تجمد الماء، «**والبرد**» البرد: هو الثلج النازل من السحاب .

وكونها تُغسل بالماء ليس فيها إشكال؛ لأن الماء مزيل، لكن أيهما أشد إزالة: الماء الحار أو الثلج والبرد؟

الجواب: الماء الحار أشد إزالة وأسرع، إلا أن القضية ليست قضية ثوب يُغسل لكنها قضية ذنوب، والذنوب في الأصل حارة عقوبتها النار، والشيء إنما يُداوى بضده، فلذلك ذكر الثلج وذكر البرد. ^(١)

(١) انظر الشرح الممتع ٤٤/٣ . وفتح ذي الجلال ٩٢/٣ . والشرح المختصر ٤٨٤/١ . وشرح عمدة الأحكام ٦٧٧/١ . والتعليق على صحيح البخاري ٣٤٤/٣ .



﴿ فصل ﴾

📖 وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك،

وتبارك اسمك، وتعالى جدك ولا إله غيرك». رواه مسلم بسند

منقطع، ورواه الدارقطني موصولاً وموقوفاً.

🌟 الشرح

قوله: «سبحانك» أي: تنزيهاً لك يا ربّ عن كلّ نقصٍ، والنقصُ إما أن يكون في الصّفاتِ، أو في مماثلة المخلوقات، فصفاؤه التي يتّصف بها مُنزّه فيها عن كلّ نقصٍ، يتّصف بالعلمِ الكاملِ، وبالحياةِ الكاملةِ، وبالسَّمْعِ الكاملِ، وبالبصرِ الكاملِ... وهكذا جميع الصفات التي يتّصف بها هو فيها مُنزّه عن النّقصِ، كذلك مُنزّه عن أن يوصف بصفة نقصٍ محضة، مثل أن يوصف بالعجز، أو الظُّلم، أو ما أشبه ذلك.

مُنزّه عن مماثلة المخلوقات، ولو فيما هو كمال في المخلوقات فإن الله تعالى مُنزّه عنه، فمُنزّه عن أن تكون صفاته الخبريّة كصفات



المخلوقين، مثل: الوجه، واليدين، والقدم، والعينين، ومُنزّه أن تكون صفاته الذاتية المعنوية كصفات المخلوقين، فعلمه ليس كعلم المخلوق؛ لأنّ علم المخلوق كلّهُ نَقْصٌ، نَقْصٌ في ابتدائه؛ لأنّه مسبوقٌ بجهلٍ، وفي غايته؛ لأنّه ملحق بالنسيان، وفي شموله؛ لأنّه قاصرٌ، حتى رُوحك التي بين جنبيك لا تعلم عنها شيئاً. كما قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] حتى ما تريد أن تفعله غداً لست على يقينٍ من أنْ تفعله، لكنك ترجو وتؤمّل، وإلاّ فلا تعلم نفسٌ ماذا تكسب غداً، إذاً؛ هذا نَقْصٌ عظيمٌ في العلم، أما الله عَزَّوَجَلَّ فإنّه كاملُ العلم.

كذلك أيضاً لا يماثل المخلوق في صفاته الفعلية، مثل: الاستواء على العرش، والنُّزول إلى السَّماءِ الدُّنيا، والمجيء إلى الفصل بين العباد، والرّضى والغضب، وما أشبه ذلك، وإن وافقها في الاسم، فالاسم هو الاسم، ولكن المُسمّى غير المُسمّى، فالصفة هي الصفة، ولكن الموصوف غير الموصوف؛ فلا تماثل



بين الخالق والمخلوق. إذا؛ يُنَزَّهُ اللهُ عن ثلاثة أشياء:

١. عن النقص في صفات الكمال.
٢. عن صفات النقص المجردة عن الكمال.
٣. عن مماثلة المخلوقين.

وتمثيله بالمخلوقين نقص؛ لأنَّ تسوية الكاملِ بالنَّقصِ تجعله ناقصاً قال الشاعر:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَنْقُصُ قَدْرَهُ

إِذَا قِيلَ إِنَّ السَّيْفَ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا

إذا قلت: عندي سيفٌ عظيم، ومدحته مدحاً كثيراً، ثم قلت: هو أَمْضَى مِنَ الْعَصَا؛ فإنه يهبط هبوطاً عظيماً، ولا ترى لهذا السَّيْفِ قَدْرًا؛ لأنك نفيت أن يكون مماثلاً للعصا، وسيفٌ يمكن أن يتصوَّرَ الإنسانُ مماثلته للعصا ناقصٌ لا ريب في ذلك.

أما «الحمد» فهو: وصفُ المحمود بالكمال، الكمال الذاتي والفعلي، فالله **مُبَحَّانُهُ وَتَعَالَى** كاملٌ في ذاته، ومن لازم كماله في ذاته أن يكون كاملاً في صفاته.



كذلك في فعله، ففعله دائرٌ بين العدل والإحسان؛ لا يمكن أن يظلم، بل إما أن يعامل عباده بالعدل، وإما أن يعاملهم بالإحسان، فالمسيءُ يعامله بالعدل كما قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] لا يمكن أن يزيد. والمحسن يعامله بالفضل كما قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ آمَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] ففعله عزَّجَلٌ دائرٌ بين الأمرين، ومن كان فعله دائراً بين هذين الأمرين: العدل والفضل، فلا شك أنه محمودٌ على أفعاله، كما هو محمودٌ على صفاته.

إذا؛ جمعت بين التنزيه والكمال في قولك: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وبحمديك» فعلى هذا؛ فالواو تفيد معنى المعية، يعني: ونزّهتك تنزيهاً مقروناً بالحمد.

قوله: «وتبارك اسمك» «اسم» هنا مفرد، لكنه مضاف فيشمل كُلَّ اسمٍ من أسماء الله.

وهل المراد بالاسم هنا المُسمَّى كما في قوله: «تباركت يا ذا الجلال والإكرام» ويكون المراد بـ «تبارك اسمك» أي: تباركت،



كقوله: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] والمُسَبِّح الله المُسَمَّى، أو أن المراد أن اسم الله نفسه كله بركة، وإذا كان اسم المُسَمَّى بركة فالمُسَمَّى أعظم بركة وأشدُّ وأولى؟

الجواب: الثاني أظهر؛ لأننا نَسَلَم فيه من التجوُّز بالاسم عن المُسَمَّى، ولأنه يلزم منه تبارك المُسَمَّى.

❁ **أمثلة من بركة اسم الله:**

لو ذبحت ذبيحةً بدون تسمية؛ لكانت ميتةً نجسةً حراماً، ولو سمَّيت الله عليها لكانت ذكيةً طيبةً حلالاً.

وأيضاً: إذا سمَّيت على الطَّعام لم يشاركك الشيطان فيه، وإن لم تسمَّ شاركك.

وإذا سمَّيت على الوُضوء - على قول من يرى وجوب التَّسمية - صَحَّ وضوؤك، وإن لم تسمَّ لم يصحَّ وضوؤك.

وعلى قول من يرى استحبابها يكون وضوؤك أكمل مما لو لم تسمَّ، فهذه من بركة اسم الله عَزَّجَلَّ.



قوله: «وتعالى جدُّك» «تعالى» أي: ارتفع ارتفاعاً معنوياً، والجدُّ: بمعنى العظمة، يعني: أنَّ عظمتك عظمة عظيمة عالية؛ لا يساميتها أي عظمة من عظمة البشر، بل من عظمة المخلوقين كلهم.

قوله: «ولا إله غيرك» هذه هي كلمة التوحيد التي أرسل بها جميع الرُّسل كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وكما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ مِنَ الدُّنْيَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ» فهي أفضل الذكر، ومعناها: لا معبود حق إلا الله. ف «إله»: بمعنى مألوه، وهو اسمٌ، «لا»: النافية للجنس، وخبرها محذوف تقديره: حق، «إلا الله»: «إلا» أداة استثناء، و«الله» بدل من الخبر المحذوف، هذا أصحُّ ما قيل في معناها وفي إعرابها.

❁ إذا معناها: لا معبود حق إلا الله، فهل هناك معبود باطل؟

الجواب: نعم، هناك معبود باطل وهو مَنْ سِوَى اللَّهِ؛ لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ



وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ [الحج: ٦٢]. وهذه الآلهة وإن سُميت آلهة فما هي إلا أسماء لا حقيقة لها، فهي باطلة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣]. وهذه الكلمة لها مقتضى، فمقتضاها التسليم التام لله **عَزَّجَلَّ**؛ لأن العباداة مأخوذة من الذلِّ، ومنه: طريق معبد، أي: مدلل مُسهَّل. فمقتضى هذه الكلمة العظيمة الاستسلام لله تعالى ظاهراً وباطناً، فأنت إذا قلتها تخبر خبراً تنطقه بلسانك، وتعتقدُه بجانك بأنَّ الله هو المعبودُ حقاً، وما سواه فهو باطل، ثم تأمل كيف جاءت هذه الكلمة التي فيها توحيد الله بألوهيته بعد الثناء عليه؛ ليكون توحيده بالألوهية مبنياً على كماله. «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك» كُلُّ هذا ثناءٌ على الله بالكمال، ثم قال: «ولا إله غيرك» فيكون هذا السابق كالسبب المبنى عليه اللاحق، يعني: أنه لكمال صفاتك لا معبود حقٌ إلا أنت، ولا إله غيرك.



وكان عُمرُ بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يستفتحُ بهذا الدعاء، رواه مسلم بسند فيه انقطاع؛ لكن وصله البيهقي. وعُمرُ أحدُ الخلفاء الراشدين الذين أُمرونا باتِّباعهم. وقد رُويَ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرفوعاً. ^(١)



(١) انظر الشرح الممتع ٤٢/٣ . وفتح ذي الجلال ١٠٠/٣ . والشرح المختصر على بلوغ المرام ٤٩٠/١ . والتعليق على المنتقى ٣٣/١ .



﴿ فصل ﴾

📖 وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاعْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعاً، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» رواه مسلم.

وفي رواية له: «إن ذلك في صلاة الليل».



الشرح

قوله: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض»
وجهت، أي: جعلته وجاهه، والمراد بالوجه هنا: الوجه الحسي،
والوجه المعنوي.

* أما الوجه الحسي: فهو الوجه الذي في الرأس.

* وأما الوجه المعنوي: فهو القلب، فيكون المراد: وجهت
قلبي ووجهي.

وقوله: «الذي فطر» هذا بيان الجهة التي وجهها إليه وهو
الذي فطر السموات والأرض، يعني الله عزَّجَلَّ كما قال تعالى:
﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١]. قال أهل العلم: والفطر هو فعل
الشيء أولاً، فيكون معنى ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: خلقهما
على غير مثال سبق، يعني أول ما خلقت السموات والأرض على
هذه الصورة، وقوله: ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ والسموات سبع بنص
القرآن والسنة، وأما الأرضون فهي أيضاً سبع على ظاهر القرآن
وصريح السنة.



وقوله: «**حنيفاً**» أي: مائلاً عن الشرك، فالاستقامة في قوله: «**وجهت وجهي**» وعدم الميل إلى الشرك في قوله: «**حنيفاً**»، وأكد ذلك بقوله: «وما أنا من المشركين».

قوله: «**إن صلاتي**» المراد بـ«**صلاتي**»: الصلاة المعروفة المعهودة شرعاً.

قوله: «**ونسكي**»؛ قيل المراد بذلك: النسيكة وهي الذبيحة، فالمراد بالنسك: الذبائح التي يتقرب بها الإنسان إلى الله عزَّ وجلَّ، واستدل أصحاب هذا القول بقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنحَرْ ۖ﴾ [الكوثر: ٢]، فذكر النحر بعد الصلاة.

وقيل المراد بالنسك: العبادة، فعلى الأول يكون عطف نسك على صلاة من باب عطف المتباينين، وعلى الثاني: من باب عطف العام على الخاص.

فإن قال قائل: أيهما أولى أن نقول: المراد بالنسك جميع العبادات، أو المراد بالنسك الذبيحة؟



فالجواب: الأول أولى؛ لأنه يشمل الذبيحة وغيرها، وكلما كان المعنى أشمل وأعم فهو أولى.

قوله: «ومحيي ومماتي» أي أن حياتي ومماتي أمرهما إلى الله **عَزَّجَلَّ**، لا أموت إلا بأمر الله، ولا أحيأ إلا بأمر الله .
قوله: «الله» اللام هذه للإخلاص .

قوله: «رب العالمين» أي: خالق العالمين، مالکهم ومدبرهم، والعالم: كل ما سوى الله فهو عالم من الإنس والجن والملائكة وغيرهم، وسموا عالماً؛ لأنهم علم على خالقهم **عَزَّجَلَّ**، وجمعوا باعتبار الأجناس والأنواع، فإنهم أجناس وأنواع.
قوله: «لا شريك له» هذا تأكيد للنفي .

قوله: «وبذلك» أي: بما ذكر من الإخلاص، واجتناب الشرك.
قوله: «أمرت» والامر هو الله **عَزَّجَلَّ**، ولم يسم للعلم به، كقوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ ﴿٢٨﴾ [النساء: ٢٨] حيث لم يسم الخالق للعلم به.




قوله: «وأنا أول المسلمين» أورد بعض العلماء إشكالاً على هذا وقال: كيف يكون أول المسلمين وقد سبقه أمم وأنبياء ورسل كلهم مسلمون؟ فقليل المعنى: أول المسلمين من هذه الأمة فتكون الأولوية نسبية؛ أي باعتبار هذه الأمة. وقيل إن الأولوية هنا: أولية صفة لا أولوية زمن، يعني: أنه أسبق الناس إلى الإسلام، وعلى هذا المعنى فلا نحتاج إلى أن نقول: إن الأولوية نسبية؛ لأننا نعلم أن أشد الناس انقياداً وإسلاماً لله تعالى هو الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن المعلوم أننا إذا قلناها: «وأنا أول المسلمين» لا يمكن أن نريد أول المسلمين زمناً، لأن هذا يكذبه الواقع، لكنك تقر بأنك أول من يؤمن بهذا ويسلم لله عَزَّوَجَلَّ، سبقاً حالياً لا زمنياً.

قوله: «اللهم أنت الملك» اللهم، أي: يا الله هذا أصلها، فحذفت ياء النداء وعوض عنها الميم، وذلك لكثرة الاستعمال، وللتيمن بذكر الله عَزَّوَجَلَّ قبلت أداة النداء وعوضت عنها الميم، قالوا: لأنها دالة على الجمع، فكأن الداعي جمع قلبه على الله، وكانت في الآخر تيمناً بالبداة باسمه جَلَّ وَعَلَا، وعلى هذا فنقول: «اللهم» منادي مبني على الضم في محل نصب.




قوله: «أنت الملك» الملك: يعني ذا الملك التام والسيطرة التامة، فهو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ملك الملوك لا مالك إلا الله **عَزَّوَجَلَّ**، وملكه جامع بين الملك الذي هو مطلق التصرف، وبين الملك الذي هو السيطرة التامة، ولهذا جاء في سورة الفاتحة قراءتان: ﴿**مَلِكِ يَوْمِ**

الدِّينِ﴾  و{ملك يوم الدين}، فإذا ضممت القراءتين بعضهما إلى بعض نتج من ذلك أنه مالك ملك .

وفي الدنيا قد يكون الإنسان ملكاً وليس بمالك، وليس له حق التصرف، وقد يكون مالكاً وليس بملك، فالإنسان يملك دابته وليس بملك .

قوله: «لا إله إلا أنت» أي: لا معبود حق إلا أنت، إذا: «إله» بمعنى: مألوه، وأما ما عبد من دون الله فهو وإن سمي إلهاً فليس بإله؛ لأنه ليس بحق، كما قال **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿**ذَٰلِكَ يَٰأَيُّهَا اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنتَ مَا**

يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾  [الحج: ٦٢].

قوله: «أنت ربي وأنا عبدك» هذا من تحقيق الربوبية والإلهية، فتحقيق الربوبية في قوله: «أنت ربي»، والإلهية في قوله: «وأنا



عبدك» لأن العبد لابد أن يتعبد لمعبوده بما أراد معبوده .

قوله: **«ظلمت نفسي واعترفت بذنبي»** الله أكبر يقول النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ظلمت نفسي واعترفت بذنبي» وظلم النفس إما

بتقصير في واجب، أو بفعل محرم.

قوله: **«واهدني لأحسن الأخلاق»** أي هداية علم وإرشاد،

وأحسن الأخلاق: يعني أكملها وأتمها، والأخلاق: جميع

خلق وهو الصفة الباطنة، والخلق الصفة الظاهرة، فلإنسان

خَلْقٌ وَخُلُقٌ، فالخُلُق في الباطن والخلق في الظاهر، وهذا يشمل

الأخلاق فيما بين الإنسان وبين ربه، وفيما بينه وبين العباد .

قوله: **«لا يهدي لأحسنها إلا أنت»** هذا إظهار افتقار لله **عَزَّوَجَلَّ**

وتوسل له بهذه الصفة، وهي أنه لا يستطيع أحد أن يهدي لأحسنها

إلا الله **عَزَّوَجَلَّ**.

قوله: **«واصرف عني سيئ الأخلاق لا يصرف عني سيئها إلا**

أنت» عكس ما سبق، **«اصرف عني سيئ الأخلاق»** أي: بحيث لا

أهتدي لها، ولا أتلبس بها، **«لا يصرف عني سيئها إلا أنت»**.



قوله: «**ليبك**» أي إجابة لك، وجاءت بصيغة التثنية، فهل المراد الدلالة على التكرار، أو المراد حقيقة التثنية؟ الأول هو المراد، أي أن المعنى: إجابة لك بعد إجابة، مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْجِعْ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [الملك: ٤]. المراد: مطلق التعدد، أي كرة بعد كرة، فيشمل إلى ما شاء الله، ومعنى «**ليبك**»: إجابة، وهو واضح في كلام الناس، إذا دعاك رجل تقول له: لبيك، وقيل المعنى: إقامة، من قولهم: ألب بالمكان إذا أقام فيه، ولا مانع من أن نقول: إجابة لك وإقامة على طاعتك، فيكون شاملاً للمعنيين.

قوله: «و**سعديك**» أي إسعاداً بعد إسعاد، والمراد بـ «**سعديك**» أي: معونتك، أو إسعادك أن أكون سعيداً، ونقول فيه كما قلنا في «**ليبك**» أن المراد بذلك: مطلق التكرار لا التثنية.

قوله: «و**الخير كله في يديك**» الخير في الدنيا والآخرة كله في يدي الله عز وجل، هو الذي يقدره، وهو الذي يعطيه من شاء ويمنعه من شاء على ما تقتضيه حكمته وعدله.

قوله: «و**الشر ليس إليك**» يعني أن الشر لا ينسب إلى الله عز وجل



أبدأ؛ لأن أفعاله كلها خير وليس فيها شرٌّ بوجه من الوجوه، حتى ما يكون من المخلوقات من الشرور فإنه لا يكون شرًّا بالنسبة لإيجاد الله له .

قوله: «أنا بك» أي: وجودي بك، وقوتي بك، وعملي بك، فالباء هنا للاستعانة .

قوله: «وإليك»: الغاية والقصد، ففي الأول استعانة، وفي الثاني إخلاص، إليك وحدك لا أرجع لغيرك .

قوله: «تباركت» تباركت أي: حلت البركة فيك، بمعنى: أن اسمك مبارك وذكرك مبارك، وكلامك مبارك، وكل ما يصدر عن الله عزَّ وجلَّ فإنه مبارك .

وقد فسرها الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ فقال: «تباركت» أي أن البركة تُنال بذكرك، وهذا لاشك أنه داخل في المعنى لكن المعنى الأول أعم .

قوله: «وتعاليت» أي: ترفعت مكانًا ومنزلة، وهو أبلغ من قول: علوت؛ لأن في: تعاليت إشارة إلى الترفع، أي ترفعه عن كل سفول



ونزول **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَلا وعلا**.

قوله: «**أستغفرُكَ**» أي أطلب مغفرتك، والمغفرة: ستر الذنب والتجاوز عنه .

قوله: «**وأَتوبُ إِلَيْكَ**» أي أرجع إليك من معصيتك إلى طاعتك، وهي بمعنى: أسألك التوبة، فهي خبر بمعنى الدعاء .





❦ مسألة: هل هناك أدعية أخرى يُستفتح بها؟ ❦

الجواب: نعم؛ فيه أنواع - ولشيخ الإسلام ابن تيمية رسالة في أنواع الاستفتاحات .

وفيه أيضاً استفتاح خاص بقيام الليل، وهو قول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «اللهم رب جبرائيل ومكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم». فهذا الاستفتاح خاص بصلاة الليل .





﴿مسألة: هل يجمع بين أنواع الاستفتاح؟﴾

الجواب: لا يجمع بينها، لأن النبي ﷺ أجاب أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين سألَه بأنه يقول: «اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ»... إلخ. ولم يذكر «سبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك» فدلَّ على أنه لا يجمع بينها.

❁ ثم هل يقتصر الإنسان على نوع منها، أو يفعل هذا تارة وهذا تارة؟

نقول: الأفضل أن يفعل هذا تارة وهذا تارة، وأما من تمسك بنوع منها واقتصر عليه فهذا على خير لا شك، لكن تمام التأسّي بالرسول ﷺ أن يفعل هذا تارة وهذا تارة.

❁ وفي فعل العبادات المتنوعة على وجوها فوائدها منها :

* الفائدة الأولى: تمام التأسّي بالنبي ﷺ.

* الفائدة الثانية: أحضر للقلب؛ لأنه لو لزم شيئاً واحداً صار يقوله بغير حضور قلب.

* الفائدة الثالثة: أحفظ للسنة.



* الفائدة الرابعة: التيسير على المكلف؛ لأن بعض هذه الأنواع أيسر من بعض، ومن ذلك التسبيحات دبر كل صلاة مكتوبة فبعضها أيسر من بعض.

* الفائدة الخامسة: أن الإنسان إذا نوع هذه العبادات فإن لكل نوع خاصية ليست في الآخر، لأنها لو اتفقت لكانت نوعاً واحداً، فيكون قد أتى في هذا وبما في هذا.

فهذه عدة فوائد لكون الإنسان يفعل العبادات المتنوعة التي جاءت على وجوه هذه تارة وهذه تارة .^(١)



(١) انظر فتح ذي الجلال والإكرام ٣/ ٧١ . والتعليق على المتقى ١/ ٢٥ . والشرح الممتع ٣/ ٤٧ .



﴿ باب ما جاء في التعوذ للقراءة ﴾

﴿ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ﴾ ﴿٩٨﴾

[النحل : ٩٨].

﴿ الشرح ﴾

قوله تعالى: «فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ» أي: أردت قراءته، وليس المعنى إذا أكملت قراءته؛ لأنه لا فائدة منها حينئذ .

وقوله تعالى: ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ أي: اطلب منه العوذ، وهو العصمة من شر الشيطان .

وهذه الاستعاذة للقراءة، وليست للصلاة، إذ لو كانت للصلاة لكانت تلي تكبيرة الإحرام، أو قبل تكبيرة الإحرام، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ﴿٩٨﴾ [النحل:

٩٨]. فأمر الله بالاستعاذة من الشيطان الرجيم عند تلاوة القرآن.

وفائدة الاستعاذة: ليكون الشيطان بعيداً عن قلب المرء، وهو



يتلو كتابَ الله حتى يحصلَ له بذلك تدبُّرُ القرآن وتفهُّمُ معانيه،
والانتفاعُ به؛ لأن هناك فَرْقًا بين أن تقرأ القرآن وقلْبُك حاضرٌ
وبين أن تقرأ وقلْبُك لاهٍ.

إذا قرأته وقلْبُك حاضرٌ حصل لك من معرفة المعاني والانتفاعِ
بالقرآن ما لم يحصلْ لك إذا قرأته وأنت غافل، وجربْ تجدُ.
فلهذا شُرع تقديم الاستعاذة على القراءة في الصَّلَاة وخارج
الصلاة.

بل قال بعض العلماء: بوجوب الاستعاذة بالله من الشيطان
الرجيم عند قراءة القرآن لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ
مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

ومعنى: «أعوذ بالله» أي: ألتجئ وأعتصم به؛ لأنه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**
هو الملاذ وهو المعاذ، فما الفرق بين المعاذ والملاذ؟
قال العلماء: الفرق بينهما: أن اللَّيَاز لطلب الخير، والعياذ
للفرار من الشرِّ، وأنشدوا على ذلك قول الشاعر:



يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُوْمَلُّهُ وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أَحَازِرُهُ
لَا يَجْبُرُ النَّاسَ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ وَلَا ظَمِيلًا نَهَيْتَ جَضْبُورُهُ

وهو يخاطب بشراً بما لا يليق إلا بالله **عَزَّوَجَلَّ** لكن هكذا الشعراء
يُغالون في القدح، ويغالون في المدح: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ (٢٢٤)
أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿[الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٧].﴾

ومعنى: ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ﴿٩٨﴾ الشيطان: اسمُ جنسٍ يشملُ
الشيطان الأول الذي أَمَرَ بالسُّجود لآدم فلم يسجد، ويشملُ
ذُرِّيَّتَهُ، وهو مِن شَطْنٍ إِذَا بَعُدَ؛ لبعده من رحمة الله، فإن الله لَعَنَهُ،
أي: طَرَدَهُ وَأَبْعَدَهُ عن رحمته. أو مِن شَاطِئٍ إِذَا غَضِبَ؛ لأنَّ طبيعته
الطَّيِّشُ والغضبُ والتسرُّعُ، ولهذا لم يتقبَّل أَمْرُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
بالسُّجودِ لآدم، بل رَدَّهُ فوراً، وأنكَرَ السُّجودَ له وقال: ﴿ءَأَسْجُدُ
لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ ﴿٦١﴾ [الإسراء: ٦١]، والمعنى الأول هو الأقربُ،
ولذلك لم يُمنع من الصَّرْفِ؛ لأنَّ النون فيه أصلية.



وأما ﴿الرَّجِيمُ﴾: فهو بمعنى: راجم، وبمعنى: مرجوم؛ لأن
فِعْلاً تأتي بمعنى: فاعل، وبمعنى: مفعول، فمن إتيانها بمعنى
فاعل: سميع، وبصير، وعليم، والأمثلة كثيرة.
ومن إتيانها بمعنى مفعول: جريح، وقتيل، وكسير، وما أشبه
ذلك.

فالشيطانُ رَجِيمٌ بالمعنيين، فهو مرجوم بلعنة الله - والعيادُ
بالله - وطَرَدَهُ وإِبْعَادَهُ عن رحمته، وهو راجم غيره بالمعاصي،
فإن الشياطين تَوَزَّؤُا أهلَ المعاصي إلى المعاصي أژًا. (١)



(١) انظر الشرح الممتع ٣/ ٥٣ . والتعليق على المنتقى ١/ ٤٢ .



﴿فصل﴾

📖 عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً عند الخمسة وفيه:
 «وكان يقول بعد التكبير: «أعوذ بالله السميع العليم من
 الشيطان الرجيم، من همزه، ونفخه، ونفثه».

🌸 الشرح

قوله: «بعد التكبير» أي بعد تكبيرة الإحرام والاستفتاح، وإنما
 احتجنا إلى هذا التقدير لأن الاستعاذة إنما تكون عند القراءة،
 والقراءة لا تكون إلا بعد الاستفتاح.

قوله: «أعوذ» سبق معناها ^(١).

قوله: «السميع» أي ذو السمع، وسمعُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى نوعان:
 سمع إجابة، وسمع إدراك، وهو في هذا يشمل الأمرين جميعاً.

قوله: «العليم» أي ذو العلم، وعلم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى محيط بكل
 شيء جملةً وتفصيلاً سابقاً ولاحقاً وحاضراً، وآيات إثبات

(١) انظر ص ٢٠.



علم الله **عَزَّوَجَلَّ** كثيرة وهو من صفات الكمال، وإنما ذُكر هذان الاسمان، لأن **«السميع»** بمعنى الإجابة مناسب تمامًا لقولك: **«أعوذ»**، و**«العليم»** كذلك مناسب لقولك: **«أعوذ»**؛ لأنه ما من مُعِذٍ إلا وعنده علم كيف يعيد.

قوله: **«من الشيطان الرجيم»**، **«الشيطان»** هو إبليس، مشتقٌّ من شطن إذا بُعد؛ لأن الشيطان بعيد من رحمة الله - والعياذ بالله -، ويدل على أنه مشتق من شطن أنه متصرف كما قال **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [الحجر: ١٧]. والمراد به الجنس، لا الشيطان المعين الذي أبى أن يسجد لآدم **عَلَيْهِ السَّلَامُ**.

وقوله: **«الرجيم»** تصلح أن تكون بمعنى الراجم، وتصلح أن تكون بمعنى المرجوم؛ لأن فاعلاً تأتي بمعنى فاعل، وتأتي بمعنى مفعول، فإذا كانت بمعنى الراجم فالمعنى: أنه يرمي بني آدم بالمعاصي ويحملهم عليها حملاً، وإذا كانت بمعنى المرجوم فلا أنه مطرود بغیض من رحمة الله **عَزَّوَجَلَّ**.



قوله: «من همزه ونفخه ونفثه» هذه ثلاثة أشياء: فالهمز: قيل إنه اسم للجنون؛ لأن الشيطان قد يُصيب الإنسان بالجنون. وأما النفخ: فمن الكِبَر، واشتقاقه ظاهر؛ لأن الإنسان إذا أصيب بالكبر - والعياذ بالله - انتفخ، فالشيطان ينفخ الإنسان حتى يكون مستكبراً.

وأما النفث: فقليل إنه الشعر؛ لأن الشعراء يتبعهم الغاؤون، قال الله عزَّجَلَّ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَا تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ﴾ (٢٢١) تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣] وهناك احتمال في ذهني لكنني ما رأيته، وهو أن المراد: بالهمز: يعني الهمس الخفيف الذي يحمل الإنسان على المعصية، والنفخ: يعني شدة الأمر بالمعصية، والنفث: أشد، لكنني لم أر هذا، فيرجع إلى كتب اللغة أو كتب غريب الحديث، أما المشهور فكما تقدم أولاً. ^(١)



(١) انظر فتح ذي الجلال والإكرام ٣/ ١٠٥ . والتعليق على المتقى ١/ ٤٥ .



﴿ باب ما جاء في البسملة هل هي من الفاتحة ، أم لا ؟ ﴾

📖 عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صليت خلف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم» في أول قراءة، ولا في آخرها» رواه مسلم .

🌟 الشرح

قوله: «لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم»: «بسم الله» الجار والمجرور متعلق بمحذوف؛ وهذا المحذوف يقدر فعلاً متأخراً مناسباً؛ فإذا قلت: «بسم الله» وأنت تريد أن تأكل؛ تقدر الفعل: «بسم الله أكل».

قلنا: إنه يجب أن يكون متعلقاً بمحذوف؛ لأن الجار والمجرور معمولان؛ ولا بد لكل معمول من عامل.

🌟 وقد رناه متأخراً لفائدتين:

* الفائدة الأولى: التبرك بتقديم اسم الله عَزَّوَجَلَّ.



* والفائدة الثانية: الحصر؛ لأن تأخير العامل يفيد الحصر،
كأنك تقول: لا آكل باسم أحد متبركاً به، ومستعيناً به إلا
باسم الله عزَّوَجَلَّ.

وقدرناه فعلاً؛ لأن الأصل في العمل الأفعال، وهذه يعرفها
أهل النحو؛ ولهذا لا تعمل الأسماء إلا بشروط.

وقدرناه مناسباً؛ لأنه أدلّ على المقصود؛ ولهذا قال الرسول
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ومن كان لم يذبح فليذبح باسم الله»، أو قال
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «على اسم الله». فخص الفعل.

و﴿اللَّهُ﴾: اسم الله رب العالمين لا يسمى به غيره؛ وهو أصل
الأسماء؛ ولهذا تأتي الأسماء تابعة له.

و﴿الرَّحْمَنُ﴾ أي ذو الرحمة الواسعة؛ ولهذا جاء على وزن
«فَعْلان» الذي يدل على السعة.

و﴿الرَّحِيمِ﴾ أي الموصل للرحمة من يشاء من عباده؛ ولهذا
جاءت على وزن «فَعِيل» الدال على وقوع الفعل. فهنا رحمة
هي صفته - هذه دل عليها ﴿الرَّحْمَنُ﴾، ورحمة هي فعله - أي إيصال



الرحمة إلى المرحوم - دلّ عليها ﴿الرَّحِيمِ﴾. و﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: اسمان من أسماء الله يدلان على الذات، وعلى صفة الرحمة، وعلى الأثر: أي الحكم الذي تقتضيه هذه الصفة.

والرحمة التي أثبتها الله لنفسه رحمة حقيقية دل عليها السمع، والعقل؛ أما السمع فهو ما جاء في الكتاب، والسنة من إثبات الرحمة لله - وهو كثير جداً؛ وأما العقل: فكل ما حصل من نعمة، أو اندفع من نقمة فهو من آثار رحمة الله.





﴿مسألة: هل البسملة آية من الفاتحة؛ أو لا؟﴾

في هذا خلاف بين العلماء؛ فمنهم من يقول: إنها آية من الفاتحة، ويقرأ بها جهراً في الصلاة الجهرية، ويرى أنها لا تصح إلا بقراءة البسملة؛ لأنها من الفاتحة. ومنهم من يقول: إنها ليست من الفاتحة؛ ولكنها آية مستقلة من كتاب الله، وهذا القول هو الحق؛ ودليل هذا النص، وسياق السورة.

أما النص: فقد جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين: فإذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٣﴾، قال الله تعالى: أثني علي عبدي؛ فإذا قال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿٤﴾، قال الله تعالى: مَجَّدني عبدي، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿٥﴾، قال الله تعالى: هذا بيني وبين عبدي نصفين؛ وإذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٦﴾ قال الله تعالى: هذا لعبدي؛ ولعبدي ما سأل»، وهذا كالنص على أن البسملة ليست من الفاتحة؛ وفي الصحيح عن



أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صليت خلف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبي بكر، وعمر، وعثمان؛ فكانوا يستفتحون بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) لا يذكرون ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (١) في أول قراءة، ولا في آخرها». والمراد لا يجهرون؛ والتمييز بينها وبين الفاتحة في الجهر، وعدمه يدل على أنها ليست منها.

أما من جهة السياق من حيث المعنى: فالفاتحة سبع آيات بالاتفاق؛ وإذا أردت أن توزع سبع الآيات على موضوع السورة وجدت أن نصفها هو قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥) وهي الآية التي قال الله فيها: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين»؛ لأن ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) : واحدة؛ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٣) : الثانية؛ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٤) : الثالثة؛ وكلها حق لله عزَّ وجلَّ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥) : الرابعة - يعني الوسط - وهي قسمان: قسم منها حق لله؛ وقسم حق للعبد؛ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٦) للعبد؛ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ للعبد؛ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (٧) للعبد.



فتكون ثلاث آيات لله **عَزَّوَجَلَّ** وهي الثلاث الأولى؛ وثلاث آيات للعبد وهي الثلاث الأخيرة؛ وواحدة بين العبد وربّه وهي الرابعة الوسطى.

ثم من جهة السياق من حيث اللفظ فإذا قلنا: إن البسملة آية من الفاتحة لزم أن تكون الآية السابعة طويلة على قدر آيتين؛ ومن المعلوم أن تقارب الآيات في الطول والقصر هو الأصل.

فالصواب الذي لا شك فيه أن البسملة ليست من الفاتحة كما أن البسملة ليست من بقية السور. ^(١)



(١) انظر تفسير جزء عم ص ١٠ .



﴿ باب ما جاء في قراءة الفاتحة في الصلاة ﴾

📖 عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يستفتح الصلاة بالتكبير، والقراءة: ب ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾....» الحديث، أخرجه مسلم .

🌸 الشرح

تصور أن الله عَزَّجَلَّ يناجيك وأنت في صلاتك، يسمعك

من فوق سبع سموات ويرد عليك، إذا قلت: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾. قال الله: حمدي عبدي، وإذا قلت: ﴿الرَّحْمَنِ

الرَّحِيمِ ﴿٣﴾. قال: أثنى علي عبدي، وإذا قلت: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ

﴿٤﴾، قال: مجدي عبدي. والتمجيد: التعظيم. ونقرأ الفاتحة

على أنها ركن لا تصح الصلاة إلا بها، لكننا لا نشعر بهذه المعاني

العظيمة، لا نشعر أننا نناجي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. من يشعر بهذا يجد

لذة عظيمة للصلاة، ويجد أن قلبه استنار بها، وأنه خرج منها بقلب

غير القلب الذي دخل فيها به. (١)

(١) انظر مجموع الفتاوى ٨٥/١٦ .



قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: ﴿الْحَمْدُ﴾

وصف المحمود بالكمال مع المحبة، والتعظيم؛ الكمال الذاتي، والوصفي، والفعلي؛ فهو كامل في ذاته، وصفاته، وأفعاله؛ ولا بد من قيد وهو «المحبة، والتعظيم»؛ قال أهل العلم: «لأن مجرد وصفه بالكمال بدون محبة، ولا تعظيم: لا يسمى حمداً؛ وإنما يسمى مدحاً»؛ ولهذا يقع من إنسان لا يحب الممدوح؛ لكنه يريد أن ينال منه شيئاً؛ تجد بعض الشعراء يقف أمام الأمراء، ثم يأتي لهم بأوصاف عظيمة لا محبة فيهم؛ ولكن محبة في المال الذي يعطونه، أو خوفاً منهم؛ ولكن حمدنا لربنا **عَزَّجَلَّ** حمد محبة، وتعظيم؛ فلذلك صار لا بد من القيد في الحمد أنه وصف المحمود بالكمال مع المحبة، والتعظيم؛ و«أل» في ﴿الْحَمْدُ﴾ للاستغراق: أي استغراق جميع المحامد.

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ﴾ اللام للاختصاص، والاستحقاق؛ و«الله»

اسم ربنا **عَزَّجَلَّ**؛ لا يسمى به غيره؛ ومعناه: المألوه - أي المعبود حباً، وتعظيماً.



وقوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٢؛ «الرب»: هو من اجتمع فيه ثلاثة أوصاف: الخلق، والملك، والتدبير؛ فهو الخالق، المالك لكل شيء، المدبر لجميع الأمور؛ و﴿الْعَالَمِينَ﴾ ٢: قال العلماء: كل ما سوى الله فهو من العالم؛ وصفوا بذلك؛ لأنهم علم على خالقهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ففي كل شيء من المخلوقات آية تدل على الخالق: على قدرته، وحكمته، ورحمته، وعزته، وغير ذلك من معاني ربوبيته.

قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: ﴿الرَّحْمَنِ﴾ صفة للفظ الجلالة؛ و﴿الرَّحِيمِ﴾ صفة أخرى؛ و﴿الرَّحْمَنِ﴾ هو ذو الرحمة الواسعة؛ و﴿الرَّحِيمِ﴾ هو ذو الرحمة الواصلة؛ ف﴿الرَّحْمَنِ﴾ وصفه؛ و﴿الرَّحِيمِ﴾ فعله؛ ولو أنه جيء بـ﴿الرَّحْمَنِ﴾ وحده، أو بـ﴿الرَّحِيمِ﴾ وحده لشمّل الوصف، والفعل؛ لكن إذا اقترنا فُسر ﴿الرَّحْمَنِ﴾ بالوصف؛ و﴿الرَّحِيمِ﴾ بالفعل.

قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ٤ صفة لـ«الله»؛ و﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ هو يوم القيامة؛ و﴿الدِّينِ﴾ هنا بمعنى الجزاء؛ يعني



أنه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** مالك لذلك اليوم الذي يجازى فيه الخلائق؛ فلا مالك غيره في ذلك اليوم؛ و﴿الدِّينِ﴾ تارة يراد به الجزاء، كما في هذه الآية؛ وتارة يراد به العمل، كما في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، ويقال: «كما تدين تُدان» أي كما تعمل تُجازى.

وفي قوله تعالى: ﴿مَلِكٍ﴾ قراءة سبعية: {مَلِكٌ}، و«الملك» أخص من «المالك».

وفي الجمع بين القراءتين فائدة عظيمة؛ وهو أن ملكه جل وعلا ملك حقيقي؛ لأن من الخلق من يكون ملكاً، ولكن ليس بمالك؛ يسمى ملكاً اسماً وليس له من التدبير شيء؛ ومن الناس من يكون مالِكاً، ولا يكون ملكاً: كعامة الناس؛ ولكن الرب **عَزَّجَلَّ** مالك ملك.

قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ ﴿إِيَّاكَ﴾: مفعول به مقدم؛ وعامله: ﴿نَعْبُدُ﴾؛ وقُدِّم على عامله لإفادة الحصر؛ فمعناه: لا نعبد إلا إياك؛ وكان منفصلاً لتعذر الوصل حينئذ؛ و﴿نَعْبُدُ﴾ أي نتذل لك



أكمل ذلّ؛ ولهذا تجد المؤمنين يضعون أشرف ما في أجسامهم في موطىء الأقدام ذلاً لله **عَزَّجَلَّ**: يسجد على التراب؛ تمتلىء جبهته من التراب - كل هذا ذلاً لله؛ ولو أن إنساناً قال: «أنا أعطيك الدنيا كلها واسجد لي» ما وافق المؤمن أبداً؛ لأن هذا الذل لله **عَزَّجَلَّ** وحده.

و«العبادة» تتضمن فعل كل ما أمر الله به، وترك كل ما نهى الله عنه؛ لأن من لم يكن كذلك فليس بعباد: لو لم يفعل المأمور به لم يكن عبداً حقاً؛ ولو لم يترك المنهي عنه لم يكن عبداً حقاً؛ العبد: هو الذي يوافق المعبود في مراده الشرعي؛ ف«العبادة» تستلزم أن يقوم الإنسان بكل ما أمر به، وأن يترك كل ما نهى عنه؛ ولا يمكن أن يكون قيامه هذا بغير معونة الله؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي لا نستعين إلا إياك على العبادة، وغيرها؛ و«الاستعانة» طلب العون؛ والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يجمع بين العبادة، والاستعانة، أو التوكل في مواطن عدة في القرآن الكريم؛ لأنه لا قيام بالعبادة على الوجه الأكمل إلا بمعونة الله، والتفويض إليه، والتوكل عليه.



قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ٦: ﴿الصِّرَاطَ﴾ فيه قراءتان: بالسين: «السطر»، وبالصاد الخالصة: ﴿الصِّرَاطَ﴾؛ والمراد بـ﴿الصِّرَاطَ﴾ الطريق؛ والمراد بـ«الهداية» هداية الإرشاد، وهداية التوفيق؛ فأنت بقولك: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ٦ تسأل الله تعالى علماً نافعاً، وعملاً صالحاً؛ و﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي الذي لا اعوجاج فيه.

قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ عطف بيان لقوله تعالى: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾؛ والذين أنعم الله عليهم هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ ٦٩. [النساء: ٦٩].

قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: هم اليهود، وكل من علم بالحق ولم يعمل به.

قوله تعالى: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ٧: هم النصارى قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وكل من عمل بغير الحق جاهلاً به.



وفي قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ قراءتان سبعيتان: إحداهما ضم الهاء؛ والثانية كسرهما.

واعلم أن القراءة التي ليست في المصحف الذي بين أيدي الناس لا تنبغي القراءة بها عند العامة لوجوه ثلاثة:

* الوجه الأول: أن العامة إذا رأوا هذا القرآن العظيم الذي قد ملأ قلوبهم تعظيمه، واحترامه إذا رأوه مرة كذا، ومرة كذا تنزل منزلته عندهم؛ لأنهم عوام لا يُفترقون.

* الوجه الثاني: أن القارئ يتهم بأنه لا يعرف؛ لأنه قرأ عند العامة بما لا يعرفونه؛ فيبقى هذا القارئ حديث العوام في مجالسهم.

* الوجه الثالث: أنه إذا أحسن العامي الظن بهذا القارئ، وأن عنده علماً بما قرأ، فذهب يقلده، فربما يخطيء، ثم يقرأ القرآن لا على قراءة المصحف، ولا على قراءة التالي الذي قرأها، وهذه مفسدة.



ولهذا قال عليّ: «حدثوا الناس بما يعرفون؛ أتحبون أن يكذب الله ورسوله»، وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنك لا تحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»، وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما سمع هشام بن حكيم يقرأ آية لم يسمعها عمر على الوجه الذي قرأها هشام خاصمه إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهشام: «اقرأ»، فلما قرأ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هكذا أنزلت»، ثم قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر: «اقرأ»، فلما قرأ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هكذا أنزلت»؛ لأن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فكان الناس يقرؤون بها حتى جمعها عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على حرف واحد حين تنازع الناس في هذه الأحرف، فخاف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يشتد الخلاف، فجمعها في حرف واحد - وهو حرف قریش؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي نزل عليه القرآن بُعث منهم؛ ونُسيت الأحرف الأخرى؛ فإذا كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فعل ما فعل بصحابي، فما بالك بعامي يسمعك تقرأ غير قراءة المصحف المعروف عنده! والحمد لله: مادام العلماء متفقين على أنه لا يجب أن يقرأ



الإنسان بكل قراءة، وأنه لو اقتصر على واحدة من القراءات فلا بأس؛ فدع الفتنة، وأسبابها.

وعلى كل حال السورة هذه عظيمة؛ ولا يمكن لالي، ولا لغيري أن يحيط بمعانيها العظيمة؛ لكن هذا قطرة من بحر؛ ومن أراد التوسع في ذلك فعليه بكتاب «مدارج السالكين» لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ. (١)



(١) انظر تفسير جزء عم ص ١١. وفتح ذي الجلال والإكرام ٣/ ١١١.



﴿ باب ما جاء في التأمين ﴾

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمُّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينَهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ: غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) متفق عليه .

الشرح

قوله: «إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمُّنُوا» أي قال: «أَمِينَ» ومعناها اللهم استجب، فلا تقل: «أَمِينَ» لأنها بمعنى قاصدين، ولهذا حرم بعض العلماء هذا القول، ولا تقل: «أَمِينَ»؛ لأنها بهذا تصير اسم فاعل من «الأمانة» أو صفة مشبهة من «الأمانة» .

وقوله: «فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينَهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ» فالمراد بالملائكة، أي المتابعون لهذا الإمام في الصلاة، سواء في السماء أو في الأرض، وليس يشمل كل الملائكة وليس يختص بالحفظة؛ لأن بعض ألفاظ الحديث تأمين الملائكة في السماء، وهذا يدل على أن هناك ملائكة سخرهم الله عزَّوَجَلَّ أن يصلوا مع المؤمنين،



فالذين شاركوا المؤمنين في صلاتهم يؤمنون على ما يؤمن عليه
أهل الإيمان، ويؤمنون بعد قول الإمام ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فإذا وافقهم
الإنسان؛ غفر له .

والموافقة هنا في الزمن؛ لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا آمَنَ الْإِمَامُ
فَأَمُّنُوا، فَإِنَّهُ مَن وَافَقَ» فيقول: آمين، والملائكة تقول: آمين. ^(١)



(١) انظر شرح عمدة الأحكام ١/ ٦٥٧ .



﴿باب ما جاء في أدعية الركوع﴾

عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (صليت مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فكان يقول في ركوعه: «سبحان ربي العظيم» ...) الحديث

رواه الخمسة وصححه الترمذي

✽ الشرح

قوله: «سبحان ربي العظيم» سبحان: اسم مصدر منصوب على المفعولية المطلقة دائماً، محذوف العامل دائماً أيضاً، ومعنى التسبيح: التنزيه، والذي يُنَزَّهُ الله عنه أمور:

* أحدها: مطلق النقص.

* والثاني: النقص في كماله.

* والثالث: وقد يكون من الثاني - مماثلة المخلوقين. فهذه

ثلاثة أشياء يُنَزَّهُ الله عنها.

أما الأول: فيُنَزَّهُ عَزَّجَلَّ عن الجهل، والعجز، والضعف،

والموت، والنوم وما أشبه ذلك.



أَمَّا الثَّانِي: فَيُنَزَّهُ عَنِ التَّعَبِ فِي مَا يَفْعَلُهُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: آية ٣٨] فالْقُدْرَةُ والخلق لا شَكَّ أَنَّهَا كَمَالٌ، لَكِنْ قَدْ يَعتَرِيهَا النَقْصُ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَخْلُوقِ، فَالْمَخْلُوقُ قَدْ يَصْنَعُ بَابًا، وَقَدْ يَصْنَعُ قِدْرًا، وَقَدْ يَبْنِي بِنَاءً، وَلَكِنْ مَعَ التَّعَبِ وَالْإِعْيَاءِ، فَيَكُونُ هَذَا نَقْصًا فِي الْكَمَالِ. أَمَّا الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَإِنَّهُ لَا يَلْحَقُهُ تَعَبٌ وَلَا إِعْيَاءٌ، حَتَّى مَعَ خَلْقِهِ لِهَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْعَظِيمَةِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَفِي هَذِهِ الْمَدَّةِ الْوَجِيزَةِ.

وَأَمَّا الثَّالِثُ: مِمَّا ثَلَّةَ الْمَخْلُوقِينَ، فَإِنَّ مِمَّا ثَلَّةَ الْمَخْلُوقِينَ نَقْصٌ؛ لِأَنَّ الْإِحَاقَ الْكَامِلَ بِالنَّاقِصِ يَجْعَلُهُ نَاقِصًا، بَلْ مَقَارَنَةُ الْكَامِلِ بِالنَّاقِصِ يَجْعَلُهُ نَاقِصًا كَمَا قِيلَ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَنْقُصُ قَدْرُهُ

إِذَا قِيلَ: إِنَّ السَّيْفَ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا

لَأَنَّكَ لَوْ قُلْتَ: عِنْدِي سَيْفٌ حَدِيدٌ قَوِيٌّ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا. فَسَيَفْهَمُ النَّاسُ مِنْ هَذَا السَّيْفِ أَنَّهُ ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّ قَوْلَكَ: «أَمْضَى



من العصا» معناه: أنه ليس بشيء.

وقوله: «**رَبِّيَ الْعَظِيمُ**». العظيم في ذاته وصفاته، فإنه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في ذاته أعظم من كل شيء، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وطي السَّجِلِّ للكتب سهل جدًا، إذا كتب الإنسان وثيقة فطيها عنده سهل، وقال عزَّجَلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في كف أحدنا.

وأما عِظَمُ صفاته فلا تسأل عنها، ما من صفة من صفاته إلا وهي عظمى كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠].

إذا؛ أنت تُنزه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وتصفه بعد تنزيهه بأمرين



كمالين كاملين وهما: الربوبية والعظمة، فيجتمع من هذا الذكر: التَّزْيِيهِ والتَّعْظِيمِ.

والتَّزْيِيهِ والتَّعْظِيمِ باللسان تعظيم قولي، وبالرُّكُوع تعظيم فعلي، فيكون الراكع جامعاً بين التعظيمين: القولي والفعلي.

ولهذا قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «أَلَا وَإِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعاً أَوْ سَاجِداً، أَمَّا الرُّكُوعُ فَعُظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ».

ولما كان القرآنُ أشرفَ الذكر؛ لم يُناسبُ أن يقرأه الإنسانُ وهو في هذا الانحناء، بل يُقرأ في حال القيام. ^(١)

إذا ينبغي للإنسان إذا كان يصلي وقال: سبحان ربي العظيم. أن يستحضر أمر الله في قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ^(٧٤)

[الواقعة: ٧٤] وأمر الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في قوله: «اجعلوها في ركوعكم» حتى يجمع بين الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم. ^(٢)

(١) انظر الشرح الممتع ٩١/٣. والتعليق على المنتقى ١٦٢/١. وتفسير سورة البقرة ١١٣/١.

(٢) انظر تفسير سورة الواقعة ص ٣٤٦.



وينبغي له أيضاً أن يستحضر أنه واقف بين يدي الله، فينحني تعظيماً له **عَزَّوَجَلَّ**، ولها قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: **(أما الركوع فعظموا فيه الرب عَزَّوَجَلَّ)**، أي: قولوا سبحان ربي العظيم، لأن الركوع تعظيم بالفعل، وقول: **(سبحان ربي العظيم)** تعظيم بالقول، فيجتمع التعظيمان بالإضافة إلى التعظيم الأصلي وهو تعظيم القلب لله، لأنك لا تنحني هكذا إلا لله تعظيماً له، فيجتمع في الركوع ثلاثة تعظيمات:

١. تعظيم القلب.

٢. تعظيم الجوارح.

٣. تعظيم اللسان.

فالقلب: تستشعر أنك ركعت لله، واللسان: تقول سبحان ربي العظيم، والجوارح: تحني ظهرك. ^(١)



(١) انظر شرح رياض الصالحين ١/ ٣٩٢.



﴿ فصل ﴾

📖 وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ» .

رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي .

🌟 الشرح

قوله: «كَانَ يَقُولُ: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ» سُبُّوحٌ: خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: أنت سُبُّوحٌ، وقُدُّوسٌ: خبر ثانٍ أيضاً لذلك المبتدأ المحذوف، يعني: وأنت أيضاً قُدُّوسٌ .

و«سُبُّوحٌ» من التسبيح والتنزيه، أي: منزّه عن النقائص، وعن مشابهة المخلوقين .

و«قُدُّوسٌ» أي: ذو قداسة وطهر، وهو أخص من التسبيح، فالطهر أبلغ من التنزيه، والقُدُّوس من أسماء الله، قال تعالى: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣]، والسُبُّوح أيضاً من أسماء الله، كما يدل عليه هذا الحديث .



قوله: «رب الملائكة والروح» خبر أيضاً، وليست نداء كما يعتقد البعض، لأنها لو كانت نداء لجاءت منصوبة، لكنها هي مرفوعة. ^(١)



(١) انظر التعليق على المنتقى ١/ ١٦٨ .



﴿فصل﴾

📖 وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك

اللهم اغفر لي». متفق عليه.

🌸 الشرح

قولها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كان يقول في ركوعه وسجوده» أي: إذا ركع

وإذا سجد بالإضافة إلى التسبيح وهو «سبحان ربي العظيم» في الركوع، «وسبحان ربي الأعلى» في السجود.

«سبحانك» أي: تنزيهاً لك عن كل ما لا يليق بعظمتك

وسلطانك - جل وعلا - فينزه عن النقائص والعيوب، النقائص

في الكمالات والعيوب في العاهات، فمثلاً السمع كمال ينزه عن

نقصه ليس في سمعه نقص، البصر كمال ليس في بصره نقص،

القوة كمال ليس في قوته نقص، فالقدرة لله عَزَّوَجَلَّ بلا عجز، والقوة

بلا ضعف، والسمع بلا صمم، والبصر بلا عمى وهكذا، فهو منزّه



عن النقائص في الكمالات، ومنزه عن العيوب في العاهات، فكل عيب فهو منزه عنه كالعجز والصمم وكل ما يتضمن نقصاً .

وقالوا إن التسبيح مأخوذ من قولهم: «سبح الرجل في الماء إذا نزل فيه وأبعد».

وقوله: «اللهم» يعني: يا الله، هذا أصلها، حذفت الياء تبركاً بالبداءة باسم الله عزَّجَلَّ، وعوض عنها الميم حتى لا تنقص الجملة، وصارت الميم في الآخر، لأنها تدل على الضم والجمع فكأن من يقول: «اللهم» قد جمع قلبه ولسانه على دعاء الله عزَّجَلَّ.

«وبحمدك» الواو حرف عطف، والباء للمصاحبة؛ يعني: وذلك تسبيحي مقرون بالحمد، والحمد يكون على كمال الصفات، فإذا جمعنا بين التنزيه وكمال الصفات كمل الموصوف؛ لأنه لا يكمل الشيء إلا بانتفاء وإثبات؛ بانتفاء العيوب وإثبات الكمالات، فلهذا إذا جمع بين التسبيح والحمد؛ فقد جمع بين نفي كل ما لا يليق بالله عن الله وإثبات صفات الكمال لله عزَّجَلَّ.



«اللهم اغفر لي» أي: يا الله اغفر لي والمغفرة: هي ستر الذنب والتجاوز عنه، لأنها مأخوذة من المغفر: وهو ما يوضع على الرأس مما يسمى بالبيضة والخوذة ليتقي به سهام العدو، فهو جامع بين الستر والوقاية، ولهذا لا تحل المغفرة إلا بذلك فلو أن الإنسان فضح بذنبه في الدنيا ولم يعاقب عليه في الآخرة، فإنه لا يقال: غفر له؛ لأنه عوقب، وإذا ستر عليه في الدنيا ولكن عوقب عليه في الآخرة، فإنه لا يقال: إنه غفر له، لأنه عوقب عليه، فالمغفرة تتضمن هذين الشيئين وهما الستر والوقاية.

هذا الحديث له سبب وهو: أن الله أنزل على نبيه ﷺ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ...﴾ (١) الآيات. قالت عائشة: «لم يكن يدع الدعاء بهذا حين أنزلت عليه هذه السورة»، وهي - أعني: السورة - إيدان بقرب أجل النبي ﷺ، كما فهم ذلك عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، ووافقه على هذا عمر. (١)

(١) انظر فتح ذي الجلال والإكرام ٢٢٢/٣. والشرح المختصر على بلوغ المرام ٥٢٨/١. والتعليق على المتقى ١٦٩/١. وشرح رياض الصالحين ٥٠٦/٥. والتعليق على صحيح البخاري ٤٤٢/٣.



﴿فصل﴾

📖 وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، إلى أن قال: «وإذا ركع قال: «اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي» الحديث رواه أحمد ومسلم والترمذي وصححه .

🌸 الشرح

قوله: «وإذا ركع قال: «اللهم لك ركعت» قدم المعمول «لك» على العامل «ركعت» لفائدة الاختصار، أي: لك وحدك أركع لا لغيرك .

قوله: «آمنت» هذا يتعلق بإقرار القلب، واعترافه .

قوله: «ولك أسلمت» هذا يتعلق بالانقياد والعمل والجوارح .

قوله: «خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي»



هذا دائماً يقع التفصيل في مقام الدعاء، إذ لو قال: «لَكَ خَشَعْتُ»
لكان كافياً؛ لكنه ذكر ذلك على سبيل التفصيل، لاستحضار أن
جميع أجزاء الإنسان وجوارحه خاشعة لله تعالى، كما أن مقام
الدعاء ينبغي فيه البسط حتى يكثر تضرع الإنسان إلى الله، ولأنه
من المعلوم يناجي الله عَزَّوَجَلَّ، ومناجات المحبوب تستحب فيها
الإطالة، والله المثل الأعلى، فإنك تجد الإنسان إذا كلم صديقاً له
يحبّه، يود أن يجعل من الحرف حرفين، والكلمة عشر كلمات،
لأجل أن تطول المحادثة والمناجاة بينهما، فكذاك بين الداعي
والله عَزَّوَجَلَّ، فلهذا جاء البسط في مقام الدعاء. ^(١)



(١) انظر التعليق على المنتقى ٢٩/١.



﴿باب ما جاء في أدعية الرفع من الركوع﴾

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ يَكْبِرُ حِينَ يَقُومُ، ثُمَّ يَكْبِرُ حِينَ يَرْكَعُ، ثُمَّ

يَقُولُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ حِينَ يَرْفَعُ صُلْبَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، ثُمَّ

يَقُولُ وَهُوَ قَائِمٌ: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ...» الْحَدِيثُ. متفق عليه.

﴿الشرح﴾

قوله: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ» سَمِعَ: مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنَّهَا تَعَدَّى

بِنَفْسِهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة:

١] وَهَذَا تَعَدَّتْ بِاللَّامِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ تَعَدِّيَّتَهَا بِاللَّامِ مِنْ أَجْلِ

ضَعْفِ الْعَامِلِ، لِأَنَّ الْعَامِلَ هُنَا فِعْلٌ، وَهُوَ الْأَصْلُ فِي الْعَمَلِ، وَلَكِنْ

نَقُولُ: تَعَدَّتْ بِاللَّامِ؛ لِأَنَّهَا ضُمِّنَتْ مَعْنَى فِعْلٍ يُعَدَّى بِاللَّامِ.

وَأَقْرَبُ فِعْلٍ يَتَنَاسَبُ مَعَ هَذَا الْفِعْلِ «اسْتَجَابَ» قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِ بِعَعْضِكُمْ

مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥] وَعَلَى هَذَا؛ فَمَعْنَى «سَمِعَ» أَي:

اسْتَجَابَ، وَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ بِدَلَالَةِ اللَّفْظِ وَدَلَالَةِ الْمَقَامِ عَلَيْهِ.



* **أما دلالة اللفظ:** فهو تعدي الفعل باللام.

* **وأما دلالة المقام:** فلأن مجرد السَّمْع لا يستفيد منه الحامد،
إنما يستفيد بالاستجابة، فإن الله يسمع مَنْ يحمده، ومَنْ لم
يحمده.

وقوله: «سمع الله لمن حمده» سبق أن «الحمد» هو: وَصْفُ
المحمود بالكمال مع المحبة والتَّعْظِيم.

ولكن قد يقول قائل: كيف تقولون بأن «سَمِعَ» بمعنى:
استجاب، والحمد ليس فيه دعاء؟

الجواب على ذلك: أن نقول: إِنَّ مَنْ حَمِدَ اللَّهَ، فإنه قد دعا
رَبَّهُ بلسان الحال؛ لأن الذي يحمّد الله يرجو الثَّواب، فإذا كان
يرجو الثَّواب فإن الثناء على الله بالحمد والذكر والتكبير متضمّن
للدُّعاء؛ لأنه لم يحمّد الله إلا رجاء الثَّواب، فيكون قولنا:
«استجاب»؛ مناسباً تماماً لذلك.

قوله: «رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ» الحمد: وصف المحمود بالكمال
مع المحبة والتَّعْظِيم، فيقال: حمّد فلانُ ربّه، أي: وَصَفَهُ بصفات



الكمال مع محبته وتعظيمه، وأنه ذو احترام في قلبه. قال ابن القيم: وبهذا يُعرف الفرقُ بين الحمد والمدح؛ فإنَّ المدح: وَصْفُ الممدوح بالكمال، أو بالصفات الحميدة، لكن لا يلزم منه أن يكون محبوباً معظماً، فقد يمدحه من أجل أن ينال غرضاً له، وقد يمدحه من أجل أن يتقي شره، لكن الحمد لا يكون إلا مع محبة وتعظيم. وبهذا نعرف قوَّة سرِّ اللغة العربية، حيث إن الحروف واحدة هنا «حمد» و«مدح» لكن لما اختلف ترتيب الحروف اختلف المعنى.

وأما من عرَّفَ «الحَمْدَ» بأنه: الشاء بالجميل الاختياري، فهذا قاصر:

أولاً: لأن الشاء أخصُّ من المدح؛ لأن الشاء هو مدحٌ مكرَّر كما جاء في الحديث القدسي الصحيح: «أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَالَ اللَّهُ: حَمَدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، قَالَ اللَّهُ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي» ففرَّق اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بين الحمد والثناء.

ثانياً: أنه بالجميل الاختياري يخرج الحمد على كمال الصفات اللازمة؛ التي لا تتعدَّى كالعظمة والكبرياء، وما أشبه



ذلك، والله تعالى محمود على صفات الكمال اللازمة، وصفات الكمال المتعدية، فهو محمودٌ على كماله ومحمودٌ على إحسانه
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وفي قوله: «ربنا ولك الحمد» سنن متنوعة :

الأولى: «ربنا ولك الحمد» كما في هذا الحديث.

والثانية: «ربنا لك الحمد» بحذف الواو.

والثالثة: «اللهم ربنا ولك الحمد» بالجمع بين اللهم والواو.

والرابعة: «اللهم ربنا لك الحمد».

كل هذه ثابتة عن النبي ﷺ، فهل الأولى المحافظة على واحد من هذه الصيغ والاستمرار عليها، أو الأولى أن يُقال هذا مرة وهذا مرة، أو الأولى أن يؤخذ بالأكثر منها وهو: «اللهم ربنا ولك الحمد» لأن فيه زيادة؟

الصواب: الثاني بمعنى: أنك تأخذ بهذا تارة وبهذا تارة.^(١)

(١) انظر الشرح الممتع ٩٦/٣ . وفتح ذي الجلال ٢٣١/٣ . والتعليق على المنتقى ١٩٠/١ . وشرح عمدة الأحكام ١/٧٠٢، ٧٢٢ . والتعليق على صحيح البخاري ٣/٤٤٥ .



﴿فصل﴾

📖 وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ، وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيَْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ. رواه مسلم.

🌸 الشرح

قوله: «اللهم» يعني يا الله، و«ربنا» يعني يا ربنا، فدعا الله عزَّ وجلَّ بوصف الألوهية ووصف الربوبية، فوصف الألوهية لأنها عبادة والربوبية لأنها سؤال .

وقوله: «ملء السموات والأرض» . قال بعض أهل العلم: معناه أنه لو كان الحمد أجساماً لملأ السماء والأرض، فيكون ملأهما بالحجم.



ولكن؛ الصحيحُ خلافُ ذلك، وأن معنى قوله: «مِلْءَ السَّمَاءِ»: هو أَنَّ اللهَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** محمودٌ على كلِّ مخلوقٍ يخلقه، وعلى كلِّ فعلٍ يفعلُهُ. ومعلومٌ أَنَّ السماواتِ والأرضَ بما فيها كُلُّها من خَلْقِ الله، فيكون الحمدُ حينئذٍ مائلاً للسماواتِ والأرضِ؛ لأنَّ المخلوقات تملأ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ. وهذا أولى؛ لأنَّ الإنسانَ يستحضرُ به أَنَّ اللهَ محمودٌ على كلِّ فعلٍ فعَلَهُ، وعلى كُلِّ خَلْقٍ خَلَقَهُ. أمَّا أن يُقدَّرَ أنه أجسامٌ متراكمة فهذه أيضاً تختلف؛ لأنَّ الأجسامَ قد تكون صغيرة وقد تكون كبيرة، ومعلومُ الفرقِ بين ما مُلِئَ بأجسام صغيرة، وما مُلِئَ بأجسام كبيرة؛ لأنَّ ما مُلِئَ بأجسام كبيرة في الغالب يكون فيه فراغات، وقَدَّرَ ذلك بصاعٍ مِنَ الأَقْطِ المقروص الذي جُعِلَ كالقُرْصَانِ، وصاعٍ مِنَ الرُّزِّ تجد الفراغات الكثيرة في الأول دون الثاني.

وقوله: «ومِلْءَ ما شئتَ من شيءٍ بعد» تحتل معنيين:

* أحدهما: أن يُراد بذلك ما سِوَى السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ مما لا نعلمُهُ.



* والثاني: أن يُراد بذلك ما يشاؤه تعالى بعد فناء السَّمَاءِ والأَرْضِ. والأول أشمل.

تنبيه: في بعض روايات مسلم: «وملء ما بينهما». والأكثر على حذفها، وإن أتى بها أحياناً فحسنٌ.

قوله: (أهل الشاء والمجد) أهل: بفتح اللام على أنها منادى، والأصل: (يا أهل الشاء والمجد) فيكون هذا توسلاً إلى الله عزَّجَلَّ بكونه أهلاً للثناء وأهلاً للمجد، ويجوز الرفع من حيث الإعراب والمعنى أيضاً، ويكون المعنى: أنت أهل الشاء والمجد، لكن الأول وهو مناداة الله عزَّجَلَّ ووصفه بهذا أبلغ؛ لأن النداء به يتضمن الإقرار به، والنداء به، والخبر فقط يتضمن الإقرار فقط.

وقوله: (أهل الشاء) أي: أنك يا ربنا أهل للثناء، وهو: تكرار أوصاف الكمال، كما قال الله عزَّجَلَّ حين يقول المصلي: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: يقول الله: «أثنى على عبدي». أي: أنك أهل ليكرر الشاء عليك.

وقوله: (المجد): العظمة والسلطان، ولا أحد أعظم من الله،



ولا أحد أكمل من سلطان الله **عَزَّوَجَلَّ**، ولذلك تجدون في سورة البروج ما يدل على العظمة من أولها إلى آخرها.

أولها: الإقسام بالسماء ذات البروج، ثم في أثنائها بالعرش المجيد، ثم في آخرها بل هو قرآن مجيد؛ لأن المقام يقتضي هذا؛ لأن الله تحدث فيها عن قوم اعتدوا على أوليائه وفتنوا المؤمنين والمؤمنات، فصار ذكر العظمة والمجد فيها مناسباً تماماً.

قوله: **(أحق ما قال العبد)** أحق: بالرفع خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: ذلك أحق ما قال العبد، أي: أن الثناء على الله **عَزَّوَجَلَّ** وتمجيده وتعظيمه أحق ما قال العبد؛ أي: أصدق وأوفق وأشد مطابقة للحال، لو أنك أثنت على رجل من أهل الدنيا قد يكون هذا حقاً، وقد يكون باطلاً، لكن إذا أثنت على الله فهو أحق ما قال العبد .

قوله: **(وكلنا لك عبد)** وكلنا أي: جميع الخلق والبشر، عبيد لله **عَزَّوَجَلَّ** بالعبودية الشاملة وهي عبودية القدر، وقدم **«لك»** على **«عبد»** لأجل إفادة الحصر.



واعلم أن العبودية تنقسم إلى قسمين: عبودية شرعية، وعبودية

قدرية كونية، فقول الله عزَّجَلَّ عن نوح: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ ﴿٢﴾

[الإسراء: ٣]. وقوله عن نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ

الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١]. وقوله عزَّجَلَّ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ

يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. كل هذه عبودية شرعية، وقوله

عزَّجَلَّ: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ ﴿١٣﴾ [مريم:

٩٣]. أي العبودية القدرية الكونية .

قوله: (اللهم لا مانع لما أعطيت) أي: لا مانع لما أعطى الله

في الفعل، فإذا قدر الله لك العطاء والفضل والخير والرزق والولد

والعلم وغير ذلك، فلا أحد يستطيع أن يمنعه.

وقوله: (ولا معطي لما منعت) أي: إذا قدر الله عزَّجَلَّ أن يمنح

هذا الشخص شيئاً من فضله فلا يستطيع أحد أن يعطيه أبداً، فإن

أعطاه علمنا أن الله قدره أي لم يمنعه، وهذا إشارة إلى أن الأمور

كلها بيد الله عزَّجَلَّ.



ونعلم علم اليقين أن كل ما آتاه فهو من الله وكل ما منعنا منه فهو من الله .

واعلم أن منع الله وإعطائه مقرون بالحكمة، بل كل فعل من أفعال الله فإنه مقرون بالحكمة .

قوله: **(ولا ينفع ذا الجد منك الجد)**، الجد أي: الغنى والحظ والسلطان والقدرة والقوة، كل إنسان عنده سلطان وقدرة وقوة ومال، وغير ذلك مما يكون فيه مستغن عن غيره فإنه لا يستغني عن الله، ولهذا قال: **«ولا ينفع ذا الجد منك الجد»** يعني: أن جده وغناه وسلطانه لا ينفعه من الله .^(١)



(١) انظر الشرح الممتع ٩٧/٣ . وفتح ذي الجلال والإكرام ٢٣٩/٣ . والشرح المختصر على بلوغ المرام ٥٣٤/١ . والتعليق على المنتقى ١٩١/١ .



﴿ باب ما جاء في أدعية السجود ﴾

عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صليت مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فكان يقول في ركوعه: «سبحان ربي العظيم» وفي سجوده:

«سبحان ربي الأعلى» ... الحديث رواه الخمسة وصححه الترمذي.

✽ الشرح

قوله: «سبحان ربي الأعلى» «سبحان» سَبَقَ معنى التسبيح، وما الذي يُسَبِّحُ الله عنه، أي: يُنَزَّه عنه ^(١).

وأما قوله: «رَبِّيَ الْأَعْلَى» دون أن يقول رَبِّيَ الْعَظِيمُ؛ لأن ذِكْرَ علو الله هنا أنسب من ذكر العظمة، لأن الإنسان الآن أنزل ما يكون، لذا كان من المناسب أن يُثني على الله بالعلو، وانظر إلى الحكمة والمناسبة في هذه الأمور، كيف كان الصَّحَابَةُ في السفر إذا علوا شيئاً كَبَّرُوا، وإذا هبطوا وادياً سَبَّحُوا؛ لأن الإنسان إذا علا وارتفع قد يتعاضم في نفسه ويتكبر ويعلو، فمناسب أن يقول: «الله أكبر» لِيَذْكُرَ نَفْسَهُ بكبرياء الله عَزَّجَلَّ، أما إذا نزل فإن النزول

(١) انظر ص ٣٣.



نقص، فكان ذِكْرُ التسبيح أولى؛ لتنزيه الله **عَزَّوَجَلَّ** عن النقص الذي كان فيه الآن، فكان من المناسب أن يُذَكَّرَ الإنسان نفسه بِمَنْ هو أعلى منها.

ونظير هذا من بعض الوجوه: أَنَّ الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كان إذا رأى شيئاً يعجبه من الدنيا يقول: «**ليكَ، إِنَّ العِشَّ عِشُّ الآخِرَةِ**» لأن الإنسان إذا رأى ما يعجبه من الدُّنيا رُبَّمَا يلتفت إليه فيعرض عن الله، فيقول: «**ليكَ**» استجابةً لله **عَزَّوَجَلَّ**، ثم يوطنُّ نفسه فيقول: «**إِنَّ العِشَّ عِشُّ الآخِرَةِ**» فهذا العيش الذي يعجبك عيش زائل، والعيش حقيقة هو عيش الآخرة، ولهذا كان من السُّنَّة إذا رأى الإنسان ما يعجبه في الدُّنيا أن يقول: «**ليكَ، إِنَّ العِشَّ عِشُّ الآخِرَةِ**».

■ وما المراد بالعلو في قول: «سبحانَ رَبِّي الأعلى» أعلو المكان، أم علو الصفة؟

الجواب: يشمَلُ الأمرين جميعاً، وهذا متفق عليه في فِطْرِ الناس؛ إلا مَنْ اجتالته الشياطين عن فطرته، فإن علوَّ الله **عَزَّوَجَلَّ** علو



ذات، أمرٌ مفطور عليه الخلق، فلو أنك قلت للعامي: ماذا تريد بقولك «سبحان رَبِّيَ الأَعلى»؟ لقال: أريد أنه فوق كلِّ شيءٍ، ولا يدري عن علوِّ الصِّفة، ومع ذلك فقد أنكر علوه في ذاته مَنْ أنكر ممن يستقبلون قبلتنا، ولا شكَّ أنهم خالفوا الكتابَ والسُّنَّةَ وإجماعَ السَّلفِ والعقلَ والفطرة، ولو رجعوا إلى فِطْرهم لعلموا أن الإيمان بعلوِّ الله تعالى بذاته أمرٌ لا بُدَّ منه، ولا بُدَّ من الإقرار به، فهم عندما يصيبهم شيءٌ تنصرفُ قلوبُهم إلى السَّماءِ إلى العلوِّ. وهم يقفون بعَرَفَة يدعون الله، فهل يرفعون أيديهم، أم ينزلوها إلى الأرض؟

ومن العجيب أنهم يرفعون أيديهم، ويدَّعون أن الله في الأرض! نسأل الله العافية.

المهم أننا نشعر في قولنا: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعلى» أَنَّ اللهَ عَلِيٌّ في ذاته، وَعَلِيٌّ في صفاته، بل هو أعلى مِنْ كلِّ شيءٍ، والله تعالى وَصَفَ نَفْسَهُ أحياناً بالأعلى، وأحياناً بالعليّ، لأن الوصفين ثابتان له: العلو، وكونه أعلى، كما أنه يوصف بأنه الكبير وأنه



الأكبر، وبالعليم وبالأعلم. وصيغة التفضيل في هذه الأشياء على بابها، وليست بمعنى اسم الفاعل كما يدّعيه بعض العلماء.^(١)

على كل حال نحن نقول في كل صلاة: (سبحان ربي الأعلى)، فهل نحن حينما نقول: (سبحان ربي الأعلى) نستحضر هذا المعنى أم نقول: (سبحان ربي الأعلى) باعتبار أنه ذكر وثناء على الله؟

والجواب: أن الغالب على الناس عموماً وخصوصاً إنهم إذا قالوا: (سبحان ربي الأعلى) لا يشعرون ألا بالثناء على الله والتنزيه المطلق، ولا يستحضرون معنى: اللهم إني أنزهك يا ربي عن مماثلة المخلوقين، وعن كل نقص في صفاتك، فلا يشعر القائل بهذا المعنى ألا قليلاً.^(٢)



(١) انظر الشرح الممتع ٣/ ١٢٣ . والتعليق على الممتقى ١/ ١٦٢ . وتفسير سورة البقرة ١/ ١١٣ .

(٢) انظر شرح العقيدة السفارينية ص ٤٥ .



﴿ فصل ﴾

📖 وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي

رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ» .

(١) رواه أحمد وأحمد ومسلم وأبو داود والنسائي .





﴿ فصل ﴾

📖 وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك

اللهم اغفر لي». متفق عليه. ^(١)



(١) سبق شرحه، انظر ص ٣٧.



﴿ فصل ﴾

📖 وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول في سجوده: «اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله، وأوله وآخره، وعلايته وسره» رواه مسلم .

🌸 الشرح

قوله: «اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله، وأوله وآخره، وعلايته وسره» هذا من باب البسط في الدعاء والتوسع فيه؛ لأن الدعاء عبادة فكل ما كرره الإنسان ازداد عبادة لله عَزَّوَجَلَّ، ثم إنه في تكراره هذا يستحضر الذنوب كلها السر والعلانية وكذلك ما أخفاه وكذلك دقه وجله، هذه هي الحكمة في أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فصل بعد الإجمال، فينبغي للإنسان أن يحرص على الأدعية الواردة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأنها أجمع الدعاء وأنفع الدعاء. ^(١)



(١) انظر التعليق على صحيح مسلم ٢٤٣/٣ . وشرح رياض الصالحين ٥٠٩/٥ .



﴿ فصل ﴾

📖 وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «افتقدت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ذات ليلة فتحسست فإذا هو راکع أو ساجد يقول سبحانك
وبحمدك لا إله إلا أنت» وفي رواية «ووقعت يدي على بطن
قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول اللهم إني
أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ
بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

رواه مسلم.

🌸 الشرح

قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها افتقدت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات ليلة،
فخرجت تتحسس عنه؛ لأنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هي أحب نسائه إليه وهي
تجبه أيضاً، فتخشى أن يكون أصابه شيء، فذهبت تتحسس
فوجدته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسجد وهو ساجد يدعو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى
بهذا الدعاء، قالت: «ووقعت يدي على بطون قدميه وهو ساجد»،



واستدل العلماء بذلك على أن الساجد ينبغي له أن يضم قدميه بعضهما إلى بعض ولا يفرقهما؛ لأنه لا يمكن أن تقع اليد الواحدة على قدمين متفرقتين، وكذلك هو أيضاً في صحيح ابن خزيمة أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كان يضم رجليه في السجود، أما الركبتان فهما على طبيعتهما لا يفرقهما ولا يضمهما على طبيعتهما.

وكان من دعائه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «اللهم إني أعوذ برضاك من **سخطك**» والمعنى: أنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يستعيز بالله **عَزَّجَلَّ** بالأعمال الصالحة عن الأعمال السيئة؛ لأن الأعمال السيئة توجب الغضب والسخط والأعمال الصالحة توجب الرضا، والشيء إنما يداوي بضده، فالسخط ضده الرضا، فيستعيز بالرضا من السخط.

«وبمعافاتك من عقوبتك» يعني أستعيز بمعافاتك من الذنوب وآثارها وعقوباتها من عقوبتك على الذنوب، وهذا يتضمن سؤال المغفرة.

«وأعوذ بك منك» وهذا أشمل وأعم، أنه يتعوذ بالله من الله **عَزَّجَلَّ**، وذلك لأنه لا منجى ولا ملجأ من الله إلا إليه، لا أحد ينجيك



من عذاب الله إلا الله عَزَّجَلَّ، فتستعِذ بالله من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أي:
تستعِذ به من عقوبته وغير ذلك مما يقدره. ^(١)



(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥/ ٥١٠.



﴿باب ما جاء في الدعاء بين السجدين﴾

عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول بين السجدين: اللهم اغفر لي، وارحمني، وأهدني، وعافني، وارزقني). رواه الأربعة إلا النسائي، واللفظ لأبي داود، وصححه الحاكم.

الشرح

قوله: «اللهم اغفر لي»: أي: أنك تسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يغفر لك الذُّنُوبَ كُلَّهَا الصَّغَائِرَ والكَبَائِرَ.

والمغفرة هي: ستر الذَّنْبِ والعفو عنه، مأخوذة من المِغْفَر الذي يكون على رأس الإنسان عند الحَرْبِ يَتَّقِي به السهام.

وأما «ارحمني»: فهو طلبُ رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ التي بها حصول المطلوب، وبالمغفرة زوال المرهوب، هذا إذا جُمع بينهما.

أما إذا فُرِّقَت المغفرة عن الرحمة؛ فَإِنَّ كُلَّ واحدةٍ منهما تَشْمَلُ الأخرى، ولهذا نظائر في اللغة العربية: فالفقير والمسكين إذا ذُكِرَا جميعاً صار لكل واحد منهما معنى، وإذا أُفِرِدَ أحدهما عن الآخر



صار معناهما واحداً، أي: إذا اجتمعاً افترقا، وإذا افترقا اجتمعاً.
وأما قوله: «ارزقني» فهو طلب الرزق، وهو ما يقوم به البدن،
وما يقوم به الدين.

يعني؛ أَنْ رِزْقَ الله عَزَّوَجَلَّ ما يقوم به البدن من طعام وشراب
ولباس وسَكَنٍ، وما يقوم به الدين من عِلْمٍ وإيمانٍ وعَمَلٍ صالح.
والإنسان ينبغي له أَنْ يعودَ نفسَه على استحضار هذه المعاني
العظيمة حتى يخرج منتفعاً.

فإذا قال: «ارزقني» يعني: ارزقني ما به قوام البدن، وما به قوام
الدين.

قوله: «وعافني» أي: أعطني العافية مِنْ كُلِّ مرضٍ ديني أو
بدني، ثم إن كان متّصفاً بهذا المرض؛ فهو دعاء بَرَفْعِهِ، وإن كان
غير متّصف فهو دعاء بَدْفَعِهِ، بحيث لا يتعرّض له في المستقبل.

فينبغي للإنسان إذا سأل العافية في هذا المكان أو غيره أن
يستحضر أن يسأل الله العافية: عافية البدن، وعافية الدين.



قوله: «واجبرني» الجبرُّ يكون من النقص، وكلُّ إنسان ناقص مفرطٌ مُسرفٌ على نفسه بتجاوز الحدِّ أو القصور عنه، ويحتاج إلى جبرٍ حتى يعود سليماً بعد كسره؛ لأنَّ الإنسان يحتاج إلى جبرٍ يجبرُ له النقص الذي يكون فيه.

فهذه المعاني التي تُذكر في الأدعية ينبغي للإنسان أن يستحضرها. فإن قال قائل: أليس يغني عن ذلك كله أن يقول: «اللَّهُمَّ ارحمني»؟ لأنَّ الرحمة عند الإطلاق: بها حصولُ المحبوب وزوال المَكروه؟

فالجواب: بلى، لكن مقام الدُّعاء ينبغي فيه البسط، لكن على حسب ما جاءت به السُّنَّة، وليس البسط بالأدعية المسجوعة التي ليس لها معنى، أو يكون لها معنى غير صحيح.

❁ **وإنما كان البسط مشروعاً في الدُّعاء لأسباب:**

١. لأنَّ الدُّعاء عبادة، وكلما ازدادت من العبادة ازدادت خيراً.
٢. أنَّ الدُّعاء مناجاة لله **عَزَّجَلَّ**، وأحبُّ شيءٍ للمؤمن هو الله **عَزَّجَلَّ**، ولا شكَّ أنَّ كثرة المناجاة مع الحبيب مما تزيد الحُبَّ.



٣. أن يستحضر الإنسان ذنوبه على وجه التفصيل، لأن للذنوب أنواعاً، فإذا زيد في الدعاء استحضرت، ولهذا كان من دعاء الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّةً وَجِلَّةً، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ». (١)



(١) انظر الشرح الممتع ٣/ ١٣٠ . وفتح ذي الجلال ٣/ ٢٧٠ . والشرح المختصر على بلوغ المرام ٥٤٦/١ . والتعليق على المتقى ١/ ٢٤٣ ، وشرح رياض الصالحين ٦/ ١٩ .



﴿ باب ما جاء في أدعية التشهد ﴾

عن عبد الله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: التفت إلينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «إذا صلى أحدكم فليقل: التحيات لله، والصلوات، والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ثم ليتخير من الدعاء أعجبه إليه، فيدعو». متفق عليه، واللفظ للبخاري. وللنسائي: «كنا نقول قبل أن يفرض علينا التشهد».

الشرح

قوله: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ» التحيات: جمع تحية، والتحية هي: التعظيم، فكلُّ لَفْظٍ يدلُّ على التَّعْظِيم فهو تحية، و«ال» مفيدة للعموم، وجمعت لاختلاف أنواعها، أما أفرادها فلا حدَّ لها، يعني: كُلُّ نوع من أنواع التَّحِيَّات فهو لله، واللام هنا للاستحقاق والاختصاص؛ فلا يستحقُّ التَّحِيَّات على الإطلاق إلا الله عَزَّجَلَّ.



ولا أحد يُحيّا على الإطلاق إلا الله، وأمّا إذا حيّا إنسانٌ إنساناً على سبيل الخصوص فلا بأس به.

لو قلت مثلاً: لك تحيّاتي، أو لك تحيّاتنا، أو مع التحيّة، فلا بأس بذلك، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَةٍ فَحِوُوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦] لكن التحيّات على سبيل العموم والكمال لا تكون إلا لله عزّ وجلّ.

■ فإذا قال قائل: هل الله بحاجة إلى أن تحييه؟

فالجواب: كلا؛ لكنه أهلٌ للتعظيم، فأعظمه لحاجتي لذلك لا لحاجته لذلك، والمصلحة للعبد قال تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

قوله: «والصلوات» أي: لله، وهو شاملٌ لكلّ ما يُطلق عليه صلاة شرعاً أو لغةً، فالصلوات كلّها لله حقّاً واستحقاقاً، لا أحد يستحقّها؛ وليست حقّاً لأحد سوى الله عزّ وجلّ، والدُّعاء أيضاً حقٌّ واستحقاق لله عزّ وجلّ كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] فكلُّ



الصلوات فرضها ونفلها لله، وكُلُّ الأدعية لله.

قوله: «والطيبات». الطيبات لها معنيان:

* المعنى الأول: ما يتعلّق بالله.

* المعنى الثاني: ما يتعلّق بأفعال العباد.

فما يتعلّق بالله فله من الأوصاف أطيها، ومن الأفعال أطيها،
ومن الأقوال أطيها، قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ طَيْبٌ، لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيْبًا...» يعني: لا يقول إلا الطيب، ولا يفعل إلا الطيب،
ولا يتصف إلا بالطيب، فهو طيب في كُلِّ شيء؛ في ذاته وصفاته
وأفعاله.

وله أيضاً من أعمال العباد القولية والفعلية الطيبُ، فإن
الطيبَ لا يليقُ به إلا الطيبُ ولا يقدم له إلا الطيب، وقد قال الله
تعالى: ﴿الْخَيْثُوتُ لِلْخَيْثِينَ وَالْخِثُوتُ لِلْخَيْثِيتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ
وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: ٢٦] فهذه سُنَّةُ الله عزَّجَلَّ.

فهل أنت أيُّها المصلّي تستحضر حين تقول «الطيبات لله»
هذه المعاني، أو تقولها على أنها ذِكْرٌ وثناء؟



أغلبُ النَّاسِ على الثاني، لا يستحضر عندما يقول: «الطيبات»
أن الله طَيِّب في ذاته وصفاته وأفعاله وأقواله، وأنه لا يليقُ به إلا
الطَّيِّب من الأقوال والأفعال الصَّادرة من الخلق.

وضدُّ الطَّيِّب شيئان: الخبيث، وما ليس بطيب ولا خبيث؛ لأن
الله سبحانه له الأوصاف العليا ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [الروم: ٢٧] فلا
يُمكن أن يكون في أوصافه أو أفعاله أو أقواله ما ليس بطيب ولا
خبيث، بل كُلُّ أفعاله وأقواله وصفاته كلها طيبة.

أما ما يصدرُ من الخلق؛ فمنه ما هو طَيِّبٌ، ومنه ما هو خبيثٌ،
ومنه ما ليس كذلك، لكن ما الذي يصعد إلى الله ويرفع إلى الله؟
الجواب: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾
[فاطر: ١٠] وما ليس بطيِّبٍ فهو إلى الأرض، لا يصعدُ إلى السَّماءِ.

قوله: «السلام عليك» «السلام» قيل: إنَّ المراد بالسلام: اسمُ
الله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ» كما
قال عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾ [الحشر: ٢٣] وبناءً
على هذا القول يكون المعنى: أنَّ الله على الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



بالحِفظ والكَلالة والعناية وغير ذلك، فكأننا نقول: اللهُ عليك،
أي: رقيب حافظ مُعْتَنٍ بك، وما أشبه ذلك.

وقيل: السلام: اسم مصدر سَلَّمَ بمعنى التسليم كما قال
تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]
فمعنى التسليم على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أننا ندعو له بالسَّلامة
من كُلِّ آفة.

إذا قال قائل: قد يكون هذا الدُّعاء في حياته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
واضحاً، لكن بعد مماته كيف ندعو له بالسَّلامة وقد مات
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

فالجواب: ليس الدُّعاء بالسَّلامة مقصوراً في حال الحياة،
فهناك أهوال يوم القيامة، ولهذا كان دعاء الرُّسل إذا عَبَّرَ النَّاسُ
على الصِّراط: «اللَّهُمَّ، سَلِّمْ؛ سَلِّمْ»، فلا ينتهي المرء من المخاوف
والآفات بمجرد موته.

إذا؛ ندعو للرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسَّلامة من هول الموقف،
ونقول أيضاً: قد يكون بمعنى أعم، أي: أن السَّلام عليه يشملُ



السَّلَامَ على شرعه وسُنَّتِهِ، وسلامتها من أن تنالها أيدي العابثين؛
كما قال العلماءُ في قوله تعالى: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]
قالوا: إليه في حياته، وإلى سُنَّتِهِ بعد وفاته.

وقوله: «السَّلام عليك» هل هو خَبَرٌ أو دُعاءٌ؟ يعني: هل أنت
تخبر بأن الرسولَ مُسَلَّمٌ، أو تدعو بأن الله يُسَلِّمُهُ؟
الجواب: هو دُعاءٌ تدعو بأنَّ الله يُسَلِّمُهُ، فهو خَبَرٌ بمعنى
الدُّعاء قوة رجاء الإجابة أمرٌ واقع.

ثم هل هذا خطاب للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كخطابِ النَّاسِ
بعضهم بعضاً؟

الجواب: لا، لو كان كذلك لبطلت الصَّلَاةُ به؛ لأن هذه الصلاة
لا يصحُّ فيها شيء من كلام الآدميين. ولأنَّه لو كان كذلك لَجَهَرَ
به الصَّحَابَةُ حتى يَسْمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولردَّ عليهم السَّلَام
كما كان كذلك عند ملاقاتهم إيَّاه، ولكن كما قال شيخ الإسلام
في كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم»: لقوة استحضارك للرسول
عليه الصَّلَاةُ والسَّلَام حين السَّلَامِ عليه، كأنه أمامك تخاطبه.



ولهذا كان الصَّحابةُ يقولون: السلام عليك، وهو لا يسمعهم، ويقولون: السلام عليك، وهم في بلد وهو في بلد آخر، ونحن نقول: السلام عليك، ونحن في بلد غير بلده وفي عصر غير عصره. وأما ما وَرَدَ في «صحيح البخاري» عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنهم كانوا يقولون بعد وفاة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ» فهذا من اجتهاداتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التي خالفه فيها مَنْ هو أعلمُ منه؛ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإنه خَطَبَ النَّاسَ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال في التشهُدِ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ» كما رواه مالك في «الموطأ» بِسَنَدٍ مِنْ أَصْحَحِ الْأَسَانِيدِ، وقاله عُمَرُ بِمَحْضَرِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأَقْرَؤُهُ عَلَى ذَلِكَ.

ثم إن الرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَّمَهُ أُمَّتُهُ، حتى إنه كان يُعَلِّمُ ابْنَ مَسْعُودٍ، وكَفَّهْ بَيْنَ كَفَّيْهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَسْتَحْضِرَ هَذَا اللَّفْظَ، وكان يُعَلِّمُهُمْ إِيَّاهُ كما يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، وهو يعلم أنه سيموت؛ لأن الله قال له: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]



ولم يقل: بعد موتي قولوا: السَّلامُ على النَّبيِّ، بل علَّمهم التَّشهُدَ كما يُعلِّمهم السُّورةَ من القرآن بلفظها. ولذلك لا يُعوَّلُ على اجتهد ابن مسعود، بل يُقال: «السَّلامُ عليك أَيُّها النَّبيُّ».

قوله: «أَيُّها النَّبيُّ» مُنادى حُذفت منه ياء النداء، والأصل: يا أَيُّها النَّبيُّ، وحُذفت ياء النداء لكثرة الاستعمال والتخفيف، والبداة بالكناية لرسول الله ﷺ.

ويُقال: النَّبيُّ بِالْهَمْزَةِ، ويقال: النَّبيُّ بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ بِدُونِ هَمْزَةٍ. أمَّا إِذَا قِيلَ: النَّبيُّ بِالْهَمْزَةِ، فهو فَعِيلٌ مِنَ النَّبَأِ بِمَعْنَى الْخَبَرِ، لكنه فَعِيلٌ، بِمَعْنَى فَاعِلٍ وَمَفْعُولٍ؛ لِأَنَّهُ مَنبِئٌ وَمَنْبَأٌ.

وَأَمَّا إِذَا قِيلَ: النَّبيُّ بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ بِلا هَمْزٍ، فإِذَا أَنْ تَكُونُ أَصْلُهَا مَهْمُوزاً وَحُذِفَتِ الْهَمْزَةُ تَخْفِيفاً، وَإِذَا أَنْ تَكُونُ مِنَ «النَّبَوَةِ» وَهِيَ الارتفاعُ وَسُمِّيَ بِذلك لارتفاع رُتبته ﷺ.

فإن قيل: ألا يمكن أن نقول بأنها النَّبيُّ بِالْيَاءِ مِنَ الْأَمْرَيْنِ جميعاً مِنَ النَّبَوَةِ وَهُوَ الارتفاعُ، وَمِنَ النَّبَأِ وَهُوَ الْخَبَرُ؟



فالجواب: يمكن، لأن القاعدة: أن اللفظ إذا احتمل معنيين لا يتنافيان ولا مُرَجَّح لأحدهما على الآخر؛ حُمِلَ عليهما جميعاً. ولا شك أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقامه أرفع المقامات وأنه منبأ ومنبئ.

قوله: «ورحمة الله» «رحمة» معطوفة على «السَّلام عليك» يعني: ورحمة الله عليك، فيكون عطف جملة على جملة والخبر محذوف، ويجوز أن يكون من باب عطف المفرد على المفرد، فلا يحتاج إلى تقدير الخبر.

والرحمة إذا قُرنت بالمغفرة أو بالسَّلام صار لها معنى، وإن أُفردت صار لها معنى آخر، فإذا قُرنت بالمغفرة، أو بالسَّلام صار المراد بها: ما يحصل به المطلوب، والمغفرة والسلام: ما يزول به المرهوب، وإن أُفردت شملت الأمرين جميعاً، فأنت بعد أن دعوت لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسَّلام دعوت له بالرحمة؛ ليزول عنه المرهوب ويحصل له المطلوب.

فإن قال قائل: لماذا بدأ بالسَّلام قبل الرحمة؟



فالجواب: أَنَّ التَّخْلِيَةَ قَبْلَ التَّحْلِيَةِ.

فالتَّخْلِيَةُ: السَّلَامَةُ مِنَ النَّقَائِصِ، وَالتَّحْلِيَةُ: ذِكْرُ الْأَوْصَافِ
الْكَامِلَةِ، فَنَبْدَأُ بِطَلَبِ السَّلَامَةِ أَوَّلًا، ثُمَّ بِطَلَبِ الرَّحْمَةِ.

قوله: «وَبَرَكَاتِهِ» جمع بَرَكَةٍ، وَهِيَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ الثَّابِتُ، لِأَنَّ
أَصْلَهَا مِنْ «الْبِرَكَةِ» بِكَسْرِ الْبَاءِ «وَالْبِرَكَةُ» مَجْتَمِعُ الْمَاءِ الْكَثِيرِ
الثَّابِتِ.

وَالْبَرَكَةُ هِيَ: النَّمَاءُ وَالزِّيَادَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ، فَمَا هِيَ
الْبَرَكَاتُ الَّتِي تَدْعُو بِهَا لِلرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَعْدَ مَوْتِهِ؟ فِي
حَيَاتِهِ مُمْكِنٌ أَنْ يُبَارَكَ لَهُ فِي طَعَامِهِ، فِي كَسْوَتِهِ، فِي أَهْلِهِ، فِي عَمَلِهِ.

فَأَمَّا الْبَرَكَةُ بَعْدَ مَوْتِهِ: فَبِكَثْرَةِ أَتْبَاعِهِ وَمَا يَتَّبِعُ فِيهِ، فَإِذَا قَدَّرْنَا أَنَّ
شَخْصًا أَتْبَاعَهُ مِليون رَجُلٍ، وَصَارَ أَتْبَاعُهُ مِليونين فَهَذِهِ بَرَكَةٌ.

وَإِذَا قَدَّرْنَا أَنَّ الْأَتْبَاعَ يَتَطَوَّعُونَ بِعَشْرِ رَكَعَاتٍ، وَبَعْضُهُمْ
بِعَشْرِينَ رَكَعَةً صَارَ فِي الثَّانِي زِيَادَةٌ.

إِذَا؛ نَحْنُ نَدْعُو لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبَرَكَةِ وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ



كَثْرَةُ أَتْبَاعِهِ، وَكَثْرَةُ عَمَلِ أَتْبَاعِهِ؛ لِأَنَّ كُلَّ عَمَلٍ صَالِحٍ يَفْعَلُهُ أَتْبَاعُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَلَهُ مِثْلُ أَجُورِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَأَقُولُ اسْتَطْرَادًا: إِنَّ هَذَا أَحَدَ الْأَوَاجِهِ الَّتِي يُرَدُّ بِهَا عَلَى مَنْ يَهْدُونَ ثَوَابَ الْقُرْبِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِأَنَّ بَعْضَ الْمُحِبِّينَ لِلرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَهْدُونَ إِلَيْهِ الْقُرْبَ؛ كَالْخِتْمَةِ وَالْفَاتِحَةِ عَلَى رُوحِ مُحَمَّدٍ كَمَا يَقُولُونَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَنَقُولُ: هَذَا مِنَ الْبَدْعِ وَمِنَ الضَّلَالِ. أَسْأَلُكَ أَيُّهَا الْمُهْدِي لِلرَّسُولِ عِبَادَةَ، هَلْ أَنْتَ أَشَدُّ حُبًّا لِلرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ؟

إِنْ قَالَ: نَعَمْ، قُلْنَا: كَذَبْتَ، ثُمَّ كَذَبْتَ، ثُمَّ كَذَبْتَ، ثُمَّ كَذَبْتَ. وَإِنْ قَالَ: لَا، قُلْنَا: لِمَاذَا لَمْ يُهْدِ أَبُو بَكْرٍ وَالْخُلَفَاءُ بَعْدَهُ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِتْمَةً وَلَا فَاتِحَةً وَلَا غَيْرَهَا؟ فَهَذَا بَدْعَةٌ. ثُمَّ إِنْ عَمَلْتَ الْآنَ وَإِنْ لَمْ تُهْدِ ثَوَابَهُ سَيَكُونُ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلُهُ. فَإِذَا أَهْدَيْتَ الثَّوَابَ، فَمَعْنَاهُ أَنَّكَ حَرَمْتَ نَفْسَكَ مِنَ الثَّوَابِ فَقَطْ، وَإِلَّا فَلِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلُ عَمَلِكَ أَهْدَيْتَ أَمْ لَمْ تُهْدِ.



قوله: «السلام علينا». نقول في السلام كما قلنا في الأول .
وأما علينا ف«نا» لا شكَّ أنه لا يُراد بها الشخص نفسه فقط،
وإنما يُراد بها الشخص ومَن معه، فمن الذي معه؟
قيل: المصلُّون. وقيل: الملائكة. وقيل: المراد جميع الأُمَّة
المحمَّدية. وهذا القول الأخير أصحُّ، فكما دعونا لبينا محمَّد
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالسَّلَامِ؛ ندعو أيضاً لأنفسنا بِالسَّلَامِ؛ لأننا أتباعه.
ولا أدري هل نحن نستحضر هذا إذا قلنا في الصلاة: السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين؟ أننا نسلم على أنفسنا، السلام علينا
وعلى كل عبد صالح في السماء والأرض يعني نسلم على الأنبياء
نسلم على الصحابة نسلم على التابعين لهم بإحسان، نسلم على
أصحاب الأنبياء كالحواريين أصحاب عيسى والذين اختارهم
موسى عليه الصلاة والسلام سبعين رجلاً وغير ذلك هل نحن
نستحضر أننا نسلم على جبريل وعلى ميكائيل وعلى إسرافيل
وعلى مالك خازن النار وعلى خازن الجنة وعلى جميع الملائكة
لا أدري هل نحن نستحضر هذا أم لا؟ إن كنا لا نستحضر فيجب



أن نستحضر ذلك لأن الرسول ﷺ قال: إنكم إذا قلتم ذلك سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض.

قوله: «وعلى عباد الله الصالحين». هذا تعميم بعد تخصيص؛ لأن عباد الله الصالحين هم كُلُّ عبدٍ صالح في السماء والأرض؛ حيٍّ أو ميّت من الآدميين والملائكة والجنّ.

وعباد الله هم الذين تعبّدوا لله: أي تذللوا له بالطاعة امتثالاً للأمر واجتناباً للنهي، وأفضل وَصْفٍ يتَّصف به الإنسان هو أن يكون عبداً لله، ولهذا ذَكَرَ الله وَصْفَ رسوله بالعبودية في أعلى مقاماته.

في الإسراء ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] والمعراج ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]، والإسراء والمعراج من أفضل ما يكون من المقامات للرسول ﷺ. ووصفه بذلك في مقام الدِّفاع عنه ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

ووصفه بذلك في مقام التنزيل عليه ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ



عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ [الفرقان: ١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ
الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾﴾ [الكهف: ١].

فالحاصل: أن أشرف وصف للإنسان أن يكون عبداً لله -
أسأل الله أن يحقق ذلك لعباده المؤمنين - لا عبداً لهواه، إذا سَمِعَ
أَمْرَ رَبِّهِ قَالَ: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، وَإِذَا سَمِعَ نَهْيَهُ، قَالَ: سَمِعْنَا وَتَجَنَّبْنَا،
وَإِذَا سَمِعَ خَبْرًا قَالَ: سَمِعْنَا وَصَدَّقْنَا وَقَبَلْنَا.

وعباد الله الصالحون هم الذين صَلُحَتْ سرائرُهم وظواهرُهم.
فصلاح السرائر: بإخلاص العبادة لله، والظواهر: بمتابعة
رسول الله ﷺ.

هؤلاء هم الصالحون، وَضِدُّ ذلك عباد الله الفاسدون، إما
بالسَّرائر، وإما بالظَّواهر، فالمشركُ فاسدُ السَّريرة، والمبتدعُ
فاسدُ الظَّاهر؛ لأنَّ بعض المبتدعة يريد الخير، لكنه فاسدُ الظَّاهر
لم يمشِ على الطَّرِيق الذي رَسَمَهُ رسولُ الله ﷺ.

والمشركُ فاسدُ الباطن، ولو عَمِلَ عملاً ظاهراً صَحةً
والصَّلاح مثل المرائي.



﴿مسألة: هل هناك عباد لله فاسدون؟﴾

نعم؛ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَهَمُ عِبَادُ اللَّهِ بِالْعِبُودِيَةِ الكونية كما قال تعالى: ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، فالكُفَّار عبيد لله، بالعبودية الكونية القدريّة؛ لا بالعبودية الشرعية.

قوله: «أشهد أن لا إله إلا الله». الشهادة هي الخبر القاطع، فهي أبلغ من مجرد الخبر. لأن الخبر قد يكون عن سماع، والشهادة تكون عن قَطْع، كأنما يشاهد الإنسان بعينه ما شهد به.

تنبيه: يقول بعض الناس: «أشهد أن لا إله إلا الله» بتشديد «أَنَّ»، وهذا خطأ من حيث اللغة العربية، لأن «أَنَّ» لا تكون بمثل هذا التركيب، والتي تكون بمثل هذا التركيب «أَنْ» المخففة من الثقيلة وجملة «لا إله إلا الله» في محلِّ رَفْع خبرها، واسمها ضمير الشأن محذوف وجوباً.

إذا؛ النُّطْقُ الصحيحُ: أشهد أن لا إله إلا الله، بتخفيف «أَنْ».



و«لا إله إلا الله» كلمة التوحيد التي بعث الله بها جميع الرسل
كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ
أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وبها يكون تحقيق توحيد
الألوهية، وإن شئت فقل: تحقيق توحيد العبادة، وهما بمعنى
واحد، لكن يُسمَّى توحيد الألوهية باعتبار إضافته إلى الله،
وتوحيد العبادة باعتبار إضافته إلى العبد.

ومعنى «لا إله إلا الله»: أي: لا معبود حق إلا الله، وفَسَّرَناها
بهذا التفسير؛ لأن «إله» فعَّال بمعنى مفعول، والمألوه: هو المعبود
حُبًّا وتعظيمًا وخبر «لا» محذوف والتقدير: لا إله حق إلا الله،
و«الله» بدل من الخبر المحذوف، ومعنى هذه الجملة العظيمة:
أنه لا معبود حق سوى الله عَزَّجَلَّ، أما المعبود بغير حق فليس بإله
حقاً وإن سُمِّيَ إلهاً، ولهذا قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ
وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ [لقمان: ٣٠]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَأَنَّ
مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، ولا بطلان أعظم
من بطلانه، وقال الله تعالى يخاطب الذين يعبدون من دون الله:



﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾
[النجم: ٢٣]، وليست حقائق بل هي مجرد أسماء.

قوله: «وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»، سبق معنى «أشهد».

وأما «محمد» فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، بعثه الله عز وجل بمكة أم القرى، وأحب البلاد إلى الله، وهاجر إلى المدينة، وتوفي فيها صلى الله عليه وسلم.

قوله: «عبده» أي: العابد له، وليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم شراكة في ملك الله أبداً، وهو بشرٌ مثلنا تميز عنا بالوحي، وبما جباله الله عليه من العبادة والأخلاق العظيمة. قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَىٰ كَمَا تَنْسَوْنَ» وأمره الله تعالى أن يقول: ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّا أَتَيْعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠].



وقال له في آية أخرى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ (٢١) قُلْ
 إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (٢٢) [الجن: ٢١-٢٢]،
 يعني: لو أراد الله به سوءاً ما منعه أحدٌ، فهو عَبْدٌ مِنَ العباد، وهو
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشدُّ الناسِ خشيةً لله، وأقومهم تعبدًا لله، حتى إنه كان
 يقوم لله عَزَّجَلَّ حتى تتورَّم قدماءه، فيقال له: لقد غَفَرَ الله لك ما تقدَّم
 من ذنبك وما تأخر. فيقول: «أفلا أكون عَبْدًا شكوراً».

وقوله: «ورسوله» أي: مُرْسَلُهُ، أرسله الله عَزَّجَلَّ وجعله
 واسطةً بينه وبين الخلق في تبليغ شرعه فقط، إذ لولا رسول الله ما
 عرفنا كيف نعبد الله عَزَّجَلَّ، فكان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رسولاً مِنَ الله إلى
 الخلق، ونعم الرسول، ونعم المرسل، ونعم المرسل به، فالنبيُّ
 عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هو رسولٌ مرسلٌ مِنَ الله، وهو أفضل الرُّسل،
 وخاتمهم، وإمامهم، ولهذا لما جُمِعُوا له ليلة المعراج تقدَّمهم
 إماماً مع أنه آخرهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وعَلِمَ من هذين الوصفين للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - العبودية
 والرسالة - ضلالٌ طائفتين ضلَّتَا فيه.



الطائفة الأولى: ظَنَنْتُ أَنَّ لَهُ حَقًّا فِي الرُّبُوبِيَّةِ، فَصَارَتْ تَدْعُو
الرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَصَارَ تَعْظِيمُهُ فِي قُلُوبِهِمْ أَشَدَّ مِنْ تَعْظِيمِ
اللَّهِ - نَعُوذُ بِاللَّهِ - حَتَّى إِذَا ذُكِرَ الرَّسُولُ اقشعرت جلودهم؛ ثُمَّ
تَلَيْنَ كَأَنَّمَا ذَكَرَ اللَّهُ.

وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ فَإِنَّمَا هُوَ كَالْمَاءِ الْبَارِدِ عَلَى جُلُودِهِمْ لَا يَتَحَرَّكُونَ،
فَهُؤُلَاءِ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ حَيْثُ سَاوَوْا الرَّسُولَ بِاللَّهِ بَلْ جَعَلُوهُ أَعْظَمَ مِنْ
اللَّهِ عَزَّجَلَّ.

الطائفة الثانية: ﴿وَقَالَ الْكُفْرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤] وَإِنَّمَا
أَنَّهُ كَاذِبٌ فِي تَعْمِيمِ الرِّسَالَةِ كَمَا يَقُولُ النَّصَارَى الَّذِينَ يَدَاهِنُونَ
الْمُسْلِمِينَ، وَانْخَدَعَ بِهِمْ بَعْضُ الْعَرَبِ قَالُوا: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ
لَكِنِ إِلَى الْعَرَبِ فَقَطْ. وَلَبَّسُوا عَلَى النَّاسِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ
الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ [الجمعة: ٢] وَهُمْ
يَقُولُونَ: نَحْنُ لَسْنَا بِأُمِّيِّينَ، نَحْنُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.
وَالنَّصَارَى يَقُولُونَ: رَسُولُنَا عِيسَى، وَيَغْلُوبُونَ بِهِ حَتَّى جَعَلُوهُ

إِلَهًا مَعَ اللَّهِ.



واليهود يقولون: عيسى كاذب ابن زانية - والعياذ بالله -
مقتولٌ مصلوبٌ، ونبههم موسى.

وعلى كُلِّ؛ نقول لمن ادعى خصوصية رسالة الرسول
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في العرب: هل تؤمن بأنه رسول؟
إذا قال: نعم، نقول: هل الرسول يكذب؟

إن قال: نعم، بطلت شهادته، فالرَّسُولُ لا يكذب، وإن قال: لا،
قلنا: اقرأ قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ
جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ
وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨]. أما أن تُلبس
وتأتي بآيات متشابهة فإنك أحقُّ مَنْ يدخلُ في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا
الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۚ وَمَا
يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧]. (١)

(١) انظر الشرح الممتع ١٤٦/٣. وفتح ذي الجلال والإكرام ٣/٣٥٢. والشرح المختصر على بلوغ المرام ١/٥٦٤. والتعليق على المنتقى ١/٣٢٤. والتعليق على صحيح مسلم ٣/٧٢. والتعليق على صحيح البخاري ٣/٥٣٧. وشرح رياض الصالحين ٤/٤٨١.



﴿ فصل ﴾

📖 وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلمنا التشهد: التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله». رواه مسلم وأبو داود بهذا اللفظ.

🌟 الشرح

قوله: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلمنا التشهد» تقدم لنا ذكر التشهد الذي كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلمه ابن مسعود وأمره أن يعلمه الناس وهو: «التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول عبده ورسوله»، وهنا صفة أخرى علمها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهي: «التحيات المباركات، الصلوات الطيبات لله»،



وهذه الصفة تختلف في بعض الجمل عن حديث ابن مسعود، والفرق بينهما في قوله: «المباركات» فهي ليست موجودة في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، و«المباركات» التي جعل الله فيها البركة مثل قوله تعالى: ﴿تَحِيَّاتٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَرَكَاتٌ طَيِّبَةٌ﴾ [النور: ٦١]. فوصفها بالبركة والطيب .

ومن الفروق أيضاً أن في آخر حديث ابن مسعود، «وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» وفي حديث ابن عباس: «وأشهد أن محمداً رسول الله» .

هذا هو التشهد الذي علمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته وأمر من بلغه أن يعلمه الناس .

وقد اختلف العلماء بأيهما نختار؟ فاختار بعض العلماء تشهد ابن مسعود، وقال: لأنه ثابت في الصحيحين، فهو أقوى من حديث ابن عباس الثابت في مسلم، ولأنه فيه عطف لهذه الجمل: «التحيات لله، والصلوات والطيبات»، أما تشهد ابن عباس فليس فيه عطف، والعطف يقتضي المغايرة، فيكون حديث ابن مسعود



دالاً على معنى أكثر من حديث ابن عباس، ولهذا رجحوا حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولكن الصحيح: أنه لا ترجيح ما دام يمكن العمل بالحديثين جميعاً كما هو القاعدة المتبعة فيما إذا وردت النصوص مختلفة وأمكن الجميع بينها فإننا لا نلجأ إلى الترجيح، لأن الترجيح معناه: الأخذ بالراجح وإهمال الآخر، وهذا لا ينبغي، والجمع هنا ممكن، وهو أن نقول هذا أحياناً وهذا أحياناً لنعمل بالسنة، وهذا هو الصحيح أنه ينبغي للإنسان أن يتشهد بما دل عليه حديث ابن مسعود أحياناً، وأحياناً بما دل عليه حديث ابن عباس لأن هذا هو المشروع في العبادات الواردة على وجوه متنوعة، حتى يأتي بالسنة على وجهيها، وحتى تحفظ السنة، ولذلك الذين يستمرون على حديث ابن مسعود لو تسألهم عن حديث ابن عباس لا يعرفونه، فإذا عمل بالنصين جميعاً صار في ذلك حفظاً للسنة .

أيضاً: أبلغ في الثناء على الله، لأنه يكون في هذا الذكر ما ليس في الثاني.



أيضاً: أن الإنسان يستحضر ما يقول، لأنه إذا ذكر الله بهذا الذكر في هذه المرة ثم ذكره بالذكر الآخر في المرة الثانية صار قلبه حاضراً، أما إذا لزم ذكرًا واحدًا فصار - كما يقولون - كالآلة التلقائية يقرأ على العادة بخلاف ما إذا جعل نفسه تتطلع مرةً إلى هذا ومرةً إلى هذا صار عنده استحضار أكثر.

أيضاً: أن هذا أيسر على المكلف فيما إذا كانت الأنواع بعضها أيسر من بعض فإنه في بعض الأحيان ما يناسبه إلى الأسهل والأيسر.

أيضاً: أن الإنسان لا يمل إذا بقي على صفة واحدة.

أيضاً: يستشعر أنه متعبد لله **عَزَّوَجَلَّ** لأنه إذا بقي على وتيرة واحدة فإنه يفعل هذا الشيء بدون استشعار للعبودية لأنه على العادة، ولهذا ما يدري إلا وهو في آخر التشهد على العادة بخلاف ما لو عود نفسه فمرة يفعل هذا، ومرة يفعل هذا، فهذه من فوائد إتيان العبادات على وجوده متنوعة.



وهذه القاعدة هي التي مشى عليها شيخ الإسلام ابن تيمية
رَحِمَهُ اللهُ وكثير من أهل العلم أن العبادات الواردة على وجوه
متنوعة ينبغي للإنسان أن يعمل بها كلها. ^(١)



(١) انظر التعليق على المنتقى ١/ ٣٣٦. وفتح ذي الجلال والإكرام ٣/ ٣٨٤. والتعليق على مسلم ٣/ ٨١.



﴿باب ما جاء في الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾

📖 عن أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتانا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن في مجلس سعد بن عباد، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلي عليك، فكيف نصلي عليك؟ فسكت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قولوا: «اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما بارك على آل إبراهيم إنك حميد مجيد». رواه أحمد ومسلم والنسائي والترمذي وصححه.

🌸 الشرح

قوله: «اللهم صل على محمد» «اللهم» معناها: يا الله. لكن حُذفت ياء النداء، وعُوِّض عنها الميم، وجُعِلَت الميم في الآخر تيمُّناً بالبداة باسم الله عَزَّوَجَلَّ، وكانت ميماً ولم تكن جيماً ولا حاءً ولا خاءً، لأن الميم أدلُّ على الجَمْع، ولهذا تجتمع الشفتان فيها، فكان الدَّاعي جمع قلبه على رَبِّه ودعا وقال: اللَّهُمَّ.



إعراب «اللَّهُمَّ»: «الله» منادى مبنيٌّ على الضَّمِّ في محلِّ نصب. ومعنى «الله»: أي: ذو الألوهية الذي يألهه كلُّ مَنْ تعبَّد له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: «صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ» الأمر هنا للإرشاد: لأنهم سألوا عن الكيفية ولم يسألوا عن حكم الصلاة، لكن أصل الصلاة واجبة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وقوله: «صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ» قيل: إِنَّ الصَّلَاةَ مِنَ اللَّهِ الرَّحْمَةِ، ومن الملائكة الاستغفار، ومن آدميين الدُّعاء. فإذا قيل: صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ، يعني: استغفرت له. وإذا قيل: صَلَّى عَلَيْهِ الْخَطِيبُ يعني: دعا له بالصلاة. وإذا قيل: صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ، يعني: رحمه.

وهذا مشهورٌ بين أهل العلم، لكن الصحيح خلاف ذلك، أن الصَّلَاةَ أَخَصُّ مِنَ الرَّحْمَةِ، ولذا أجمع المسلمون على جواز الدُّعاء بِالرَّحْمَةِ لكلِّ مؤمن، واختلفوا: هل يُصَلَّى عَلَى غَيْرِ



الأنبياء؟ ولو كانت الصَّلَاةُ بمعنى الرحمة لم يكن بينهما فرقٌ،
فكما ندعو لفلان بالرحمة نُصَلِّي عليه.

وأيضاً: فقد قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ
وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧] فعطف «الرحمة»
على «الصلوات» والعطف يقتضي المغايرة فتبيّن بدلالة الآية
الكريمة، واستعمال العلماء رَحْمَةُ اللَّهِ للصلاة في موضع، والرحمة
في موضع أن الصَّلَاة ليست هي الرحمة.

وأحسن ما قيل فيها: ما ذكره أبو العالية رَحْمَةُ اللَّهِ أن صلاة الله
على نبيه: ثناؤه عليه في الملاء الأعلى .
فمعنى «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ» أي: أثن عليه في الملاء الأعلى، أي:
عند الملائكة المقربين.

فإذا قال قائل: هذا بعيد من اشتقاق اللفظ، لأن الصَّلَاة في اللغة
الدُّعاء وليست الثناء.

فالجواب على هذا: أن الصلاة أيضاً من الصَّلَة، ولا شك
أن الثناء على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الملاء الأعلى من أعظم



الصَّلَات؛ لأن الثناء قد يكون أحياناً عند الإنسان أهمُّ من كُلِّ حال، فالذكرى الحسنة صِلَة عظيمة.

وعلى هذا؛ فالقول الرَّاجح: أَنَّ الصَّلَاةَ عليه تعني: الثناء عليه في الملاء الأعلى.

وقوله: «**على محمّد**» قد يقول قائل: لماذا لم يقل على النبيّ أو على نبيك محمّد، وإنما ذكره باسمه العلم فقط.

الجواب: أَنَّ هذا من باب الخبر، والخبر أوسع من الطلب.

قوله: «**وعلى آل محمّد**». أي: وصَلَّ على آل محمّد.

وآل محمد، قيل: إنهم أتباعه على دينه؛ لأن آل الشخص: كُلُّ مَنْ ينتمي إلى الشخص، سواءً بنسب، أم حمية، أم معاهدة، أم موالاة، أم أتباع كما قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ

فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦].

فيكون «آله» هم أتباعه على دينه.

وقيل: «آل النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» قرابته المؤمنون، والقائل بذلك خَصَّ القرابة المؤمنين، فخرج بذلك سائر الناس، وخرج بذلك



كُلُّ مَنْ كَانَ كَافِرًا مِنْ قَرَابَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنْ الصَّحِيحُ الْأَوَّلُ، وَهُوَ أَنَّ آلَ هِم الْأَتْبَاعَ، لَكِنْ لَوْ قُرِنَ «الْآلُ» بِغَيْرِهِ فَقِيلَ: عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَتْبَاعِهِ. صَارَ الْمُرَادُ بِالْآلِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَرَابَتِهِ.

قوله: «كَمَا صَلَّيْتُ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ» هل الكاف هنا للتشبيه أو للتعليل؟

الجواب: أكثر العلماء يقولون: إنها للتشبيه، وهؤلاء فتحوا على أنفسهم إيراداً يحتاجون إلى الجواب عنه، وذلك بأن القاعدة أن المشبه دون المُشَبَّه به، وعلى هذا؛ فأنت سألت الله صلاةً على مُحَمَّدٍ وَآلِهِ دُونَ الصَّلَاةِ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ؟ ومعلومٌ أَنَّ مُحَمَّدًا وَآلَهُ أَفْضَلُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَآلِهِ، فلذلك حصل الإشكال؛ لأن هذا يعارض القاعدة المتفق عليها وهي: أن المشبه أدنى من المُشَبَّه به. وأجابوا عن ذلك بأجوبة.

فقال بعض العلماء: إن آل إِبْرَاهِيمَ يدخل فيهم مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لأنه من آلِهِ، فإِبْرَاهِيمَ أبوه، فكأنه سأل للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الصَّلَاةَ مَرَّتَيْنِ، مَرَّةً بِاعْتِبَارِ الْخُصُوصِ «اللَّهُمَّ صَلِّ



«على محمّد»، ومرة باعتبار العموم «كما صَلَّيت على آل إبراهيم»
ولكن هذا جواب فيه شيء، وليس بواضح.

وقال بعض العلماء: إنها للتعليل - أي: الكاف - وأنّ هذا من
باب التوسّل بفعل الله السابق؛ لتحقيق الفعل اللاحق، يعني: كما
أنك سبحانك سَبَقَ الفضلُ منك على آل إبراهيم؛ فألحق الفضلَ
منك على محمد وآله، وهذا لا يلزم أن يكون هناك مشبّه ومشبّه به.

فإن قال قائل: وهل تأتي الكاف للتعليل؟

قلنا: نعم، تأتي للتعليل، استمع إليها من كلام العلماء،
واستمع إلى مثالها.

قال ابن مالك:

شَبَّهَ بِكَافٍ وَبِهَا التَّعْلِيلُ قَدْ

يُعْنَى وَزَائِدًا لِتَوْكِيدٍ وَرَدٌ

فأفاد بقوله: «وبها التعليل قد يُعْنَى» أنه قد يُقصد بها التعليل.

وأما المثال فكقوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا

عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾ [البقرة: ١٥١] فإن الكاف هنا للتعليل لما سبق.



وكقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨] أي: لهدايتكم، وإن كان يجوز فيها التشبيه، يعني: واذكروه الذكر الذي هداكم إليه.

فهذا القول - أعني: أن الكاف في قوله: «كما صَلَّيْتُ» للتعليل من باب التوسل بالفعل السابق إلى تحقيق اللاحق - هو القول الأصح الذي لا يَرُدُّ عليه إشكال.

قوله: «وبارك على محمد» أي: أنزل عليه البركة، ولهذا جاءت متعدية بعلى دون اللام، والبركة: مأخوذة من «البركة» وهو مجتمع الماء، ولا يكون إلا على وجه الكثرة والقرار والثبوت، وعليه فالبركة كثرة الخيرات ودوامها واستمرارها، ويشمل البركة في العمل والبركة في الأثر.

أما البركة في العمل: فأن يُوفَّقَ الله الإنسان لعمل لا يُوفَّقَ له من نُزعت منه البركة.

وأما البركة في الأثر: بأن يكون لعمله آثار جليلة نافعة ينتفع بها الناس، ولا شك أن بركة النبي ﷺ لا نظير لها، وذلك لأن



أَمَّتْهُ أَكْثَرُ الْأُمَمِ، وَلَأَن اجْتِهَادَهُمْ فِي الْخَيْرِ أَكْثَرَ مِنْ اجْتِهَادِ غَيْرِهِمْ،
فَبُورِكَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَيَمُنْ أَتْبَعَهُ، وَبُورِكَ لَهُ فِي عَمَلٍ مِنْ أَتْبَعَهُ.

قوله: «وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ» سَبَقَ أَنَّ
الْآلَ إِذَا أُفْرِدَتْ تَشْمَلُ جَمِيعَ الْأَتْبَاعِ، فَالْمَرَادُ بِآلِهِ أَتْبَاعُهُ، وَسَبَقَ
الشَّاهِدُ مِنْ كَوْنِ الْآلِ بِمَعْنَى الْأَتْبَاعِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ
السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [٤٦: غافر] يَعْنِي: أَتْبَاعُهُ.

أَمَّا إِذَا قُرُنْتَ الْآلُ بِالْأَصْحَابِ وَالْأَتْبَاعِ؛ صَارَ الْمَرَادُ بِهَا
الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَرَابَتِهِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَمَنْ تَفَرَّعَ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّ الْآلَ
يَشْمَلُ إِلَى الْجَدِّ الرَّابِعِ.

وَلَا عَجَبَ أَنْ يَكُونَ لِلْفُظِّ مَعْنًى عِنْدَ الْإِنْفِرَادِ، وَمَعْنًى عِنْدَ
الْإِقْتِرَانِ، فَالْمَسْكِينُ مِثْلًا وَالْفَقِيرُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ عِنْدَ الْإِنْفِرَادِ، وَلِكُلِّ
وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَعْنًى عِنْدَ الْإِقْتِرَانِ وَالْاجْتِمَاعِ، وَالْبِرُّ وَالتَّقْوَى كَذَلِكَ؛
لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَعْنًى عِنْدَ الْإِقْتِرَانِ، وَيَتَّفَقُ مَعْنَاهُمَا عِنْدَ الْإِفْتِرَاقِ.

وَالْكَافُ هُنَا عَلَى الْقَوْلِ الَّذِي رَجَّحْنَاهُ فِيمَا مَضَى فِي قَوْلِهِ:
«كَمَا صَلَّيْتُ» لِلتَّعْلِيلِ، وَعَلَى هَذَا؛ فَيَكُونُ ذِكْرُهَا مِنْ بَابِ التَّوَسُّلِ



بِفِعْلِ اللَّهِ السَّابِقِ إِلَى فِعْلِهِ الْلاحِقِ، كَأَنَّكَ تَقُولُ: كَمَا أَنَّكَ يَا رَبِّ قَدْ تَفَضَّلْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارَكْتَ عَلَيْهِمْ فَبَارِكْ عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ.

قوله: «إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»، الجملة هذه استئنافية تفيد التعليل.

«حَمِيدٌ»: فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ، وَبِمَعْنَى مَفْعُولٍ، فَهُوَ حَامِدٌ وَمَحْمُودٌ، حَامِدٌ لِعِبَادِهِ وَأَوْلِيَائِهِ الَّذِينَ قَامُوا بِأَمْرِهِ، وَمَحْمُودٌ يُحْمَدُ عَزَّجَلَّ عَلَى مَا لَهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَجَزِيلِ الْإِنْعَامِ.

وَأَمَّا «الْمَجِيدُ»: فَهِيَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ، أَي: ذُو الْمَجْدِ. وَالْمَجْدُ هُوَ: الْعِظْمَةُ وَكَمَالُ السُّلْطَانِ، وَيُقَالُ: «فِي كُلِّ شَجَرٍ نَارٌ، وَاسْتَمَجَدَ الْمَرْخُ وَالْعَفَّارُ».

هَذَا مِثْلُ مَشْهُورٍ عِنْدَ الْعَرَبِ، وَالْمَرْخُ وَالْعَفَّارُ نَوْعَانِ مِنَ الشَّجَرِ فِي الْحِجَازِ مَعْرُوفَانِ، يَعْنِي: أَنَّهُمَا أَسْرَعُ الشَّجَرِ انْقِدَاحًا إِذَا ضُرِبَتْ بِالزَّنْدِ، وَإِلَّا فَفِي كُلِّ الْأَشْجَارِ نَارٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي جَعَلَ

لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس: ٨٠]. (١)

(١) انظر الشرح الممتع ١٦٢/٣ . وفتح ذي الجلال والإكرام ٤٢٦/٣ . والشرح المختصر على بلوغ المرام ٥٧٥/١ . والتعليق على صحيح مسلم ٨٨/٣ . والتعليق على المنتقى ٣٧١، ٣٦١، ٣٥٤/١ . ٣٧٣.



﴿ فصل ﴾

📖 وعن كعب بن عجرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قلنا: يا رسول الله، قد علمنا، أو عرفنا كيف السلام عليك، فكيف الصلاة؟ قال: «قولوا: «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد». رواه الجماعة إلا أن الترمذي قال فيه: «على إبراهيم» في الموضعين ولم يذكر آله.

🌸 الشرح

قوله: «اللهم صلّ على محمد» سبق أن الأمر هنا للإرشاد^(١)؛ لأنهم سألوا عن الكيفية، وأما الوجوب فإنه معلوم من الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

قوله: «إلا أن الترمذي قال فيه: «على إبراهيم» في الموضعين

(١) انظر ص ٧٠.



ولم يذكر آله» على هذا يكون في الحديث روايتان، رواية فيها:
«كما صليت على آل إبراهيم» و«كما باركت على آل إبراهيم»
ورواية الترمذي: «كما صليت على إبراهيم» و«كما باركت على
إبراهيم» وبقي صورة ثالثة وهي الجمع بينهما، وقد ورد الجمع
بينهما في صحيح البخاري قال: «كما صليت على إبراهيم وعلى
آل إبراهيم» و«كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم».

وعليه فهل نقول في الصفتين الأوليين بالاختصار على «إبراهيم»
أو الاختصار على «آله»؟ إنهما صفتان مستقلتان .

أو نقول: إنهما صفتان حذف من كل واحدة ما أثبت في
الأخرى، وتكون رواية الجمع هي الأولى، وأن بعض الرواة
اقتصر على إحدى الكلمتين إما نسياناً وإما اختصاراً؟

والذي يظهر لي في هذه المسألة هو الثاني؛ لأن الحديث مخرجه
واحد، فكله من رواية كعب بن عجرة رضي الله عنه، وبعض الرواة ذكر
عنه: «على آل إبراهيم» وبعضهم: «على إبراهيم» وبعضهم: «على
إبراهيم وعلى آل إبراهيم» فيكون الزائد معه زيادة علم فهو أولى،



فالذي يظهر لي في هذا أنها صفة واحدة وأن الأصل فيها رواية الجمع، ويكون الحذف إما من باب الاختصار من بعض الرواة أو من باب النسيان وهو الأقرب؛ لأن القول باختصار بعض الألفاظ فيه صعوبة .

والصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورد فيها صفات متعددة، ومن أحب الوقوف عليها فقد استوعبها ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب (جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام) وبحثها بحثاً مستفيضاً. إذا صيغ الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل صيغ الاستفتاحات والتشهد يجوز أن تقتصر على واحد منها، ولا نقول نأخذ بالألفاظ التي وردت في الصحيحين مثلاً دون غيرها، لأن المخرج ليس واحداً . لو كان كذلك لقلنا نعم ويكون هذا من ذكر بعض الرواة أو نسيانهم، لكن هنا في الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام تجد صيغة وردت عن صحابي وصيغة أخرى وردت عن صحابي آخر فيختلف. (١)

(١) انظر التعليق على المتنقى ١ / ٣٦١ . والتعليق على صحيح مسلم ٣ / ٨٢ .



﴿فصل﴾

📖 عن أبي حميد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ قال: قولوا: «اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد» متفق عليه.

🌸 الشرح

هذا الحديث يدل على أن المراد بالآل أزواجه وذريته، ووجه الدلالة: أن قوله: «وعلى أزواجه وذريته» وقعت في محل قوله: «وعلى آل محمد» في الأحاديث الأخرى، ولا شك أن الأزواج من الآل، كما قال الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣)، فالخطاب لزوجات الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسماهن بأهل البيت، ولا شك أنهن من أهل بيته فإن



بيته ليس فيه سوى أزواجه، وعليه فالنبي ﷺ هم أزواجه
وذريته على مقتضى هذا الحديث ^(١).



(١) انظر التعليق على المنتقى ١ / ٣٧١.



﴿ فصل ﴾

📖 وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل: «اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد» رواه أبو داود.

🌸 الشرح

هذا أعم من الحديث السابق؛ لأنه ذكر الأزواج والذرية وأهل البيت، وأهل البيت هم: القرابة الأدنون، وفسرهم العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ بأنهم الذين يشاركون الإنسان في الجد الرابع، وأما الذين يشاركون في الجد الخامس فمن علا فليسوا من أهل بيته وليسوا من قرابته؛ ولهذا قالوا: لو وقف الرجل على أهل بيته، فيشمل ذريته ويشمل أباه وجد، وجد أبيه ومن ساواه، يعني: من شاركوه في الجد الرابع شملهم، ومن شاركوه في الجد الخامس فمن فوق لم يشملهم.



قوله: «من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت» هذا يدل على تفضيل هذه الصيغة.

قوله: «أمهات المؤمنين» أي: في الحرمة لا في التحريم، فليس المراد بكونهن أمهات أن لهن من التحريم مثل ما للأمهات؛ ولهذا نقول: إن زوجة النبي ﷺ ليست حراماً على الإنسان تحريماً من أجل النسب، لكن من أجل أنه لا يحل لأحد أن يتزوجهن بعد النبي ﷺ؛ ولذلك أمهات زوجات النبي ﷺ لا يحرم على المؤمنين، ولو كانت أم المؤمنين بمعنى أنها أمك من النسب فإن أمها تحرم؛ لأنها تكون جدة.

وهذا الحديث والذي قبله يستفاد منهما أن المراد بآل النبي ﷺ أزواجه وذريته كما في الحديث الأول المتفق عليه، أو أزواجه وذريته وأهل بيته كما في هذا الحديث الذي رواه أبو داود، والعلماء كما أشرنا سابقاً اختلفوا في ذلك، والأقرب أنه عند الإطلاق أو إذا لم يوجد ذكر الأصحاب والأتباع فالمراد بهم العموم، فيدخل فيهم كل من اتبعه على دينه؛ لأن الله سمي



أتباع الشخص آلا، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا
ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر: ٤٦)، وأما إذا ذكر مع الآل
الأصحاب والأتباع فالمراد بالآل زوجاته وأقاربه المؤمنون،
ويشمل الذرية^(١).



(١) انظر التعليق على المنتقى ١/ ٣٧٣.



﴿باب ما جاء في أدعية آخر الصلاة﴾

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال». متفق عليه. وفي رواية لمسلم: «إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير».

الشرح

وقوله: (اللهم إني أعوذ بك) أعوذ: العياذ: هو الالتجاء أو الاعتصام من مكروه، يعني: أن يعتصم بالله من المكروه.

واللياذ: أن تلجأ إليه لحصول المطلوب، كما قال الشاعر:

يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُؤَمِّلُهُ

وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أَحْذِرُهُ

لَا يَجْبُرُ النَّاسُ عِظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ

وَلَا يَهَيِّضُونَ عِظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ



فجعلَ اللَّيَازَ فيما يُؤمَّلُ، والعياذَ فيما يُحذَرُ مِنَ الأشياءِ
المكروهة.

وهذان البيتان لا يصلحان إلا لله تعالى، وإن كان قائلُهما يمدحُ
بهما مخلوقًا، فهما مِن شطحاتِ الشعراء.

قوله: «من عذاب جهنم» أي: العذاب الحاصل منها، فالإضافة
هنا على تقدير «من» فهي جنسيّة كما تقول: خاتم حديد، أي:
خاتم من حديد، ويحتمل أن تكون الإضافة على تقدير «في»، أي:
عذابٌ في جهنم كما قال تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذ تَأْمُرُونَنَا أَنْ
تَكْفُرَ بِاللَّهِ﴾ [سبأ: ٣٣] أي: مكرٌ في الليل، والإضافة تأتي على تقدير
«من» وعلى تقدير «في» وعلى تقدير «اللام» وهي الأكثر.

وقوله: «جهنم» علّم على النَّارِ التي أعدها عَزَّجَلَّ للكافرين،
قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]،
وهذه النَّارُ وَرَدَ في صفاتها وصفات العذاب فيها في الكتاب والسُّنة
ما تقشعرُّ منه الجلودُ.

وقوله: «من عذاب جهنم» هل المراد أنه يتعوذ بالله من فعلٍ



المعاصي المؤدية إلى جهنم، أو يتعوذ بالله من جهنم، وإن عصى فهو يطلب المغفرة من الله، أو يشمل الأمرين؟

الجواب: يشمل الأمرين، فهو يستعيد بالله من عذاب جهنم، أي: من فعل الأسباب المؤدية إلى عذاب جهنم.

ومن عذاب جهنم، أي: من عقوبة جهنم إذا فعل الأسباب التي توجب ذلك؛ لأن الإنسان بين أمرين: إما عصمة من الذنوب، فهذا إعادة الله من فعل السبب، وإما عفو عن الذنوب وهذا إعادة الله من أثر السبب.

وقولنا: العصمة من الذنوب، ليس معناه العصمة المطلقة؛ لأن النبي ﷺ قال: «كلُّ بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون».

وقال ﷺ: «لو لم تُذنبوا؛ لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يُذنبون؛ فيستغفرون الله؛ فيغفر لهم».

قوله: «ومن عذاب القبر».

معطوفة على «من عذاب جهنم» وعذاب القبر ما يحصل



فيه من العقوبة، وأصل القبر مدفن الميّت، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَّا لَهُ، فَاقْبَرَهُ﴾ ﴿٢١﴾ [عبس: ٢١] قال ابن عباس: «أي: أكرمه بدفنه». وقد يُراد به البرزخ الذي بين موت الإنسان وقيام الساعة، وإن لم يُدفن، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾ [المؤمنون: ١٠٠] يعني: من وراء الذين ماتوا؛ لأن أول الآية يدلُّ على هذا، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ ﴿١٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

فهل الدَّاعي إذا استعاذ بالله من عذابِ القبر؛ يريد من عذاب مدفن الموتى، أم من عذاب البرزخ الذي بين موته وبين قيام السَّاعة؟

الجواب: يُريد الثاني؛ لأن الإنسان في الحقيقة لا يدري هل يموت ويُدفن، أو يموت وتأكله السَّباع، أو يحترق ويكون رماداً، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤] فاستحضر أنك إذا قلت: «من عذاب القبر» أي: من العذاب الذي يكون للإنسان بعد موته إلى قيام السَّاعة.



قوله: «ومن فتنة المحيا والممات» معطوفة على «من عذاب جهنم» والمراد بالفتنة اختبار المرء في دينه؛ في حياته وبعد مماته، وفتنة الحياة عظيمة وشديدة، وقلَّ من يتخلص منها إلا مَنْ شاء الله، وهي تدور على شيئين:

١. شُبُهَات. ٢. شهوات.

أما الشُّبُهَات فتعرض للإنسان في عِلْمِهِ، فيلتبس عليه الحقُّ بالباطل، فيرى الباطل حقًّا، والحقَّ باطلاً، وإذا رأى الحقَّ باطلاً تجنَّبه، وإذا رأى الباطل حقًّا فعَلَهُ، وأما الشَّهَوَات فتعرض للإنسان في إرادته، فيريد بشهواته ما كان محرِّماً عليه، وهذه فتنة عظيمة، فما أكثر الذين يرون الرِّبَا غنيمة فينتهكونه! وما أكثر الذين يرون غِشَّ النَّاسِ شطارةً وجودةً في البيع والشِّراء فيغشُّون! وما أكثر الذين يرون النَّظَرَ إلى النساء تلذُّذاً وتمتُّعاً وحرية، فيطلق لنفسه النظر للنساء! بل ما أكثر الذين يشربون الخمر ويرونها لذَّةً وطرباً! وما أكثر الذين يرون آلاتِ اللهو والمعازف فنَّا يُدرِّسُ ويُعطى عليه شهادات ومراتب!



❁ وأما فتنة الممات فاختلف فيها العلماء على قولين :

القول الأول: إن فتنة الممات سؤال الملكين للميت في قبره عن ربه، ودينه ونبيه؛ لقول النبي ﷺ: «إنه أُوحِيَ إلي أنكم تُفتنون في قبوركم مثل أو قريباً من فتنة المسيح الدجال». فأما مَنْ كان إيمانه خالصاً فهذا سهل عليه الجواب.

فإذا سُئِلَ: مَنْ رَبُّكَ؟ قال: رَبِّي الله.

مَنْ نَبِيُّكَ؟ قال: نَبِيِّ مُحَمَّد.

ما دينك؟ قال: ديني الإسلام. بكل سهولة.

وأما غيره - والعياذ بالله - فإذا سُئِلَ قال: هاه... هاه... لا أدري؛ سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته .

وتأمل قوله: «هاه... هاه...» كأنه كان يعلم شيئاً فَنَسِيَهُ، وما أَشَدَّ الحسرة في شيء علمته ثم نسيته؛ لأن الجاهل لم يكسب شيئاً، لكن النَّاسِي كَسَبَ الشيءَ فخره، والنتيجة يقول: لا أدري مَنْ رَبِّي، ما ديني، مَنْ نَبِي. فهذه فتنة عظيمة؛ أسأل الله أن ينجيني وإياكم منها، وهي في الحقيقة تدور على ما في القلب، فإذا كان



القلب مؤمناً حقيقة يرى أمور الغيب كراي العين، فهذا يجيب بكل سهولة، وإن كان الأمر بالعكس فالأمر بالعكس.

القول الثاني: المراد بفتنة الممات: ما يكون عند الموت في آخر الحياة، ونص عليها - وإن كانت من فتنة الحياة - لعظمها وأهميتها، كما نص على فتنة الدجال مع أنها من فتنة المحيا، فهي فتنة ممات؛ لأنها قرب الممات، وخصها بالذكر؛ لأنها أشد ما يكون، وذلك لأن الإنسان عند موته ووداع العمل صائر إما إلى سعادة، وإما إلى شقاوة، قال الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**إِنْ أَحَدَكُمْ لِيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ؛ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ**» فالفتنة عظيمة.

وأشد ما يكون الشيطان حرصاً على إغواء بني آدم في تلك اللحظة، والمعصوم من عصمه الله، يأتي إليه في هذه الحال الحرجة التي لا يتصورها إلا من وقع فيها قال تعالى: ﴿**كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ**﴾ (٢٦) **وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ**﴾ (٢٧) **وَضَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ**﴾ (٢٨) **وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ**﴾ (٢٩) **إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ**﴾ (٣٠) [القيامة: ٢٦-٣٠]، حال حرجة عظيمة، الإنسان فيها ضعيف النفس، ضعيف الإرادة، ضعيف القوة، ضيق الصدر،



فيأتيه الشيطان ليغويه؛ لأن هذا وقت المغنم للشيطان، حتى إنه كما قال أهل العلم: قد عرض للإنسان الأديان اليهودية، والنصرانية، والإسلامية بصورة أبويه، فيعرضان عليه اليهودية والنصرانية والإسلامية، ويشيران عليه باليهودية أو بالنصرانية، والشيطان يتمثل كل واحد إلا النبي ﷺ، وهذه أعظم الفتن.

ولكن هذا والحمد لله لا يكون لكل أحد، كما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، وحتى لو كان الإنسان لا يتمكن الشيطان من أن يصل إلى هذه الدرجة معه، لكن مع ذلك يخشى عليه منه.

يقال: إن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ وهو في سكرات الموت كان يُسمع وهو يقول: بعد.. بعد. فلما أفاق قيل له في ذلك؟ قال: إن الشيطان كان يعض أنامله يقول: فُتني يا أحمد. يعض أنامله ندمًا وحسرة كيف لم يُغو الإمام أحمد؟ فيقول له أحمد: بعد.. بعد. أي: إلى الآن ما خرجت الروح، فما دامت الروح في البدن فكل شيء وارد ومحتمل ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨] في هذه الحال فتنة عظيمة جدًا، ولهذا نص النبي ﷺ عليها قال: «من فتنة المحيا والممات».



فالحاصل: أَنَّ فتنة الممات فيها تفسيران:

* التفسير الأول: الفتنة التي تكون عند الموت.

* والثاني: التي تكون بعد الموت، وهي سؤال الملكين
الإنسان عن رَبِّهِ ودينه ونبيِّهِ.

ولا مانع بأن نقول: إِنَّهَا تشمَلُ الأمرين جميعاً، ويكون قد
نَصَّ على الفتنة التي قبل الموت وعند الموت؛ لَأَنَّهَا أعظم فتنة
تَرِدُ على الإنسان، وذكر ما يُخشى منها من سوء الخاتمة إذا لم
يُجِرِ اللهُ العبد من هذه الفتنة.

وعلى هذا، ينبغي للمتعوِّذ من فتنة الممات أن يستحضر كلتا
الحالتين.

قوله: «وفتنة المسيح الدَّجَال». معطوفة على قوله: «من عذاب
جهنَّمَ» المراد بفتنة المسيح الدَّجَال ما يحصلُ به من الإضلال
والإغواء بما معه من الشُّبهات و«المَسِيح» فعيل بمعنى مفعول من
المسح؛ لأنه يمسح الأرض بسرعة سيره فيها، أو لأنه كان ممسوح
العين؛ لأنه أعور العين اليُمْنى، كأن عينه عِنَبَة طافية، أو عنبَة طافئة.



إن كانت طائفة فهي خائبة، أي: أنها غائرة، وإن كانت طائفة بالياء فهي كالعنب الطافية فوق الماء أي: أنها ناتئة.

وعلى كُلِّ؛ فإن هذا المسيح الدَّجَالُ فِتنته من فتنة الدُّنيا؛ لأنه لا يَفْتَنُ إلا الأحياء، فالأموات قد سَلِمُوا منه.

فإن قال إنسان: إذا كان من فتنة الدُّنيا أو من فتنة المحيا، فلماذا ذَكَرَ وحده؟

فالجواب: لأن أعظمَ فتنة على وَجْهِ الأرض منذ خُلِقَ آدم إلى قيام الساعة هي فتنة الدَّجَالِ، كما قال ذلك النبي ﷺ، ولهذا ما من نبيٍّ من نوح إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم إلا أُنذِرَ قومه منه تنويهاً بشأنه وتحذيراً منه، وإلا فإن الله يعلم أنه لن يخرج إلا في آخر الزمان، ولكن أَمَرَ الرُّسل أن ينذروا قومهم إِيَّاه من أجل أن يتبينَ عِظْمُهُ وفداحته، وقد صَحَّ ذلك عن النبي عليه الصَّلَاة والسَّلَامُ وقال: «إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَبِيبُكُمْ دُونَكُمْ - يعني: أكفيكم إِيَّاه - وَإِنْ يَخْرُجْ، وَلَسْتُ فِيكُمْ؛ فامْرُؤٌ حَبِيبٌ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» نَعَمْ الْخَلِيفَةُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا.



لذلك كان الدَّجَالُ حريًّا بأن تُخَصَّ فِتْنَتُهُ من بين فِتَنِ المحيا.
وأما الدَّجَالُ فهو مأخوذ من الدَّجَل وهو التمويه؛ لأن هذا
أعظم ممّوه، وأشدُّ الناس دجلاً. ^(١)



(١) انظر الشرح الممتع ٣ / ١٦٨ . وفتح ذي الجلال والإكرام ٣ / ٤٤٦ . والشرح المختصر على بلوغ المرام ١ / ٥٨١ . والتعليق على صحيح مسلم ٣ / ٥١٠ . والتعليق على المنتقى ١ / ٣٧٧ . وشرح رياض الصالحين ٥ / ٥٠٣ . والتعليق على صحيح البخاري ٣ / ٥٣٩ .



﴿ فصل ﴾

📖 وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَمِنْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَغْرَمِ وَالْمَأْثَمِ». رواه الجماعة إلا ابن ماجه .

🌟 الشرح

قوله: «اللهم إني أعوذ بك من المغرم والمأثم»، «المغرم»: دين الآدمي، و«المأثم»: دين الله، فالمغرم: الدين الذي يكون به الإنسان غريماً، وسئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما أكثر ما تستعيز من المغرم؟» فقال: «إن الرجل إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف»، وهذا هو الغالب على الناس المدينين، فتجده مثلاً إذا جاءه صاحب الحق يطالبه بحقه، يقول له: أعطيك غداً. ولا يعطيه، ونحو ذلك، وكلتا الصفتين من صفات المنافقين، ومما



يحرمه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأما «المأثم»: فالمراد به الإثم، أو ما يحصل به الإثم، فهو إما العمل الذي يحصل به الإثم، وإما الإثم نفسه، وهذا غرم في حق الله، فالإنسان إذا ترك واجباً أثم، وإذا فعل محرماً أثم، وصار غريماً لله، أي: مدينًا له، حيث أخل بما يجب عليه الله من الطاعة بامتنال الأمر واجتناب النهي، فهذا التعوذ في الحقيقة جامع لكل ما يكون على الإنسان من حقوق الله ومن حقوق الناس^(١).



(١) انظر التعليق على المنتقى ١/ ٣٨٩، والتعليق على صحيح البخاري ٣/ ٥٣٩.



﴿ فصل ﴾

📖 وعن أبي بكر الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أنه يقول لرسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «علمني دعاء أدعوه به في صلاتي. قال: قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم». متفق عليه.

🌟 الشرح

قوله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «علمني دعاء أدعوه به في صلاتي» ولم يقل: قبل التسليم، ولا في السجود، ولا بين السجدين، فهو مطلق في أي مكان دعا به الإنسان فهو خير، وتأمل من الطالب؟ ومن المطلوب؟ ومكان الطلب؟

فالتالب: أبو بكر، وهو أحب الناس إلى رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

والمطلوب: الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وهو أنصح الناس للخلق.



ومكان الطلب: الصلاة، وهي أقرب عمل يكون الإنسان فيه إلى ربه، فهذا مما يدل على فضيلة هذا الدعاء، وأكديته: حال الطالب والمطلوب ومكان الدعاء، فهو دعاء مختار لمكان مختار. قوله: «**قول: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً**» هذا توسل إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** بذكر حال الداعي، وأنه ظالم، يعني: وإذا كنت ظالماً فأنا محتاج إلى المغفرة.

قوله: «**ولا يغفر الذنوب إلا أنت**» هذا توسل إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** بصفته، فالأول: توسل بحال الداعي، والثاني: توسل بصفة المدعو.

قوله: «**فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني**» هذا هو المطلوب.

قوله: «**إنك أنت الغفور الرحيم**» هذا ختام بالثناء على المدعو.

وجمع هذا الدعاء الصيغة الكاملة للدعاء؛ لأن الدعاء أحياناً يكون بذكر حال الداعي فقط، وأحياناً يكون بذكر وصف



المدعو فقط، وأحياناً يكون بالطلب المجرد فقط، وأحياناً يكون بالجميع.

فمثال الذي فيه ذكر الطلب فقط: إذا قلت: «اللهم اغفر لي».

ومثال الذي يكون بذكر حال الداعي فقط: قول موسى

عَلَيْهِ السَّلَامُ، في قوله تعالى: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي

لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (٢٤) (القصص: ٢٤)، فهنا لم يذكر غير حال

الداعي الموجبة للعطف والرحمة.

ومثال الذي يكون بذكر حال الداعي وذكر الطلب: مثل قول

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ

الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١٦) (القصص: ١٦).

والأكمل ما ذكر فيه حال الداعي والمدعو والطلب، كما في

هذا الحديث؛ ولهذا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمه أجمع حديث في

الصيغة وفي المطلوب، قال: «فاغفر لي مغفرة من عندك» أضافها

إلى الله عَزَّجَلَّ؛ لأنه كلما كانت المغفرة من الله كانت أكمل؛ إذ إن

العطاء بقدر المعطي، والله عَزَّجَلَّ هو أكرم المعطين.



وقوله: «**وارحمني**» هذه يكون بها حصول المطلوب،
والمغفرة بها النجاة من المرهوب، ثم أثنى على الله بقوله: «**إنك**
أنت الغفور الرحيم».

وقوله: «**اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً**» الظلم الذي ظلم
الإنسان به نفسه هو ظلمها بالمعاصي، فأى معصية يفعلها العبد
إما ترك واجب أو فعل محرم فهو ظلم نفسه؛ لأن النفس أمانة
عندك يجب عليك رعايتها بأحسن رعاية، فإذا جعلتها ترتع في
المعاصي فإنك لا تكون محسناً لها؛ بل تكون ظالماً لها، وانظر
إلى راعي الغنم إذا كان عنده ثلاث شعب من الوادي: شعبة منه
ليس بها نبات، وشعبة منه فيها نبات مضر، وشعبة منها فيها نبات
نافع، فإذا سلك بها الشعبة التي بها النبات النافع فقد أحسن، وإذا
سلك الشعبة التي ليس فيها شيء فقد أساء حيث فوتها مطلوبها،
ويعتبر ظالماً في هذه الحال، وإذا سلك بها الشعبة التي فيها نبات
مضر فقد أساء أيضاً، حيث أوقعها فيما فيه هلاكها.

ومثل ذلك نفس الإنسان مع عقله وتصرفه، فإن سلك بها



طريقاً ليس فيها مصلحة لها فقد ظلمها حيث لم يختار لها ما فيه النفع، كرجل لم يفعل الطاعة المطلوبة منه، فهذا نقول: فرط وظلم حيث لم يفعل ما فيه الخير، ورجل آخر سلك بنفسه طرق المعاصي من شرب الخمر والزنا واللواط والاعتداء على أعراض الناس وأموالهم، فهذا يشبه الذي سلك بها الشعبة التي فيها النبات المضر؛ لأنها تناولت أشياء تهلكها، وأما الثالث، فرجل يبعد بنفسه عن المعاصي ويرغمها على فعل الطاعات، فهذا الرجل أحسن إلى نفسه غاية الإحسان؛ لأنه سلك بها الطرق النافعة، وجنبها الطرق الضارة.

وقوله: «**لا يغفر الذنوب إلا أنت**» هذا حق، فلو اجتمعت الأمة على أن يغفروا ذنباً واحداً لرجل ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ولكن لو أن رجلاً غفر لشخص ما أساء إليه به فهذا ممكن، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ (البجائية: ١٤)، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التغابن: ١٤)، لكن إذا كان الذنب من حق الله



فلا يمكن لأحد أن يسقطه إلا الله عَزَّجَلَّ.

وقوله: «فاغفر لي» هذا فعل دعاء؛ يسمونه بذلك تأدباً مع الله، إذ إنه لا يمكن أن تصدر الأمر إلى الله، وإنما تصدر الدعاء والرجاء، فهو فعل دعاء لا فعل أمر^(١).



(١) انظر فتح ذي الجلال والإكرام ٣/ ٤٦٤، والتعليق على المنتقى ١/ ٣٩٣، والتعليق على صحيح البخاري ٣/ ٥٤٤.



﴿فصل﴾

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي، وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي، وَهَزْلِي، وَخَطِيئِي، وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَالْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الشرح

هذا دعاء مفصل وجامع، وكله في دفع ما يضر الإنسان، أي كل هذا من سؤال الله تعالى أن يدفع ما يضر الإنسان.

قوله: «اللهم اغفر لي خطيئتي»: وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون».

قوله: «وجهلي»: وهذا مقابل الخطيئة، فالخطيئة ما فعله عن



عمد، والجهل ما فعله عن خطأ، والفرق بين الخطيئة والخطأ أن الخطيئة أن يرتكب الإنسان الخطأ عن عمد، وسيأتي معنى الخطأ في قوله: «**وخطئي، وعمدي**».

فإن قال قائل: هل الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يتعمد الخطأ؟ قلنا: لا يمكن أن يتعمده بقصد الخطأ، وإنما يتعمده لكونه يظن أن ذلك خير، ولكن يتبين أن الأمر بخلافه؛ لأن الرسول بشر **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

فإن قال قائل: كيف يقول: «**اللهم اغفر لي**» وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟

فيمكن أن يجاب بأن هذا قبل أن تنزل الآية، وهذا فيه شيء من الضعف؛ لأنه لا يمكن الجزم بذلك إلا بعد العلم بالتاريخ، وأبو موسى الأشعري من وفود الأشعرين المتأخرين، ولكن يقال جواب أحسن من ذلك، وهو: أن دعاء الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بالمغفرة من جملة أسباب مغفرة الله **عَزَّجَلَّ**، فيكون الله تعالى وعده بأن يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر بأسباب، منها أن يستغفر الله **عَزَّجَلَّ**.



والله عزَّ وجلَّ قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ (الأحزاب: ٥٦)
ثم قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦) (الأحزاب: ٥٦)،
فقد يقول قائل: ما الفائدة من صلاتنا عليه وقد أخبرنا الله بأنه
يصلي عليه؟

نقول: من أسباب صلاتنا عليه أن ندعو له بذلك، وعلى هذا
فلا منافاة.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وجهلي»: أي ما فعلته عن جهل؛ لأن
الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعلم الغيب، وقد يفعل الشيء يظنه صواباً
فيكون خطأ؛ إلا أنه يفرق بينه وبين غيره أنه لا يقر على الخطأ.

قوله: «إسرافي في أمري»: الإسراف مجاوزة الحد، والأمر
بمعنى الشأن، أي إسرافي في كل شؤني، وهذا من كمال صفاته
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أنه يكره الإسراف، ويسأل الله تعالى أن يغفر له ما
أسرف، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشر قد يتجاوز الحد في مأكله أو
مشربه أو ملبسه أو مسكنه أو مقاله أو أفعاله، فالإنسان معرض
لهذا.



قوله: «وما أنت أعلم به مني»: فإن الله عَزَّوَجَلَّ أعلم بك منك في أفعالك؛ لأن علمه بما فعلت لا ينسى، وعلمك أنت بما فعلت ينسى، وإلا فمن المعلوم أن ما لا يفعله الإنسان لا يؤاخذ به، لكن ما يفعله وينساه فقد يؤاخذ به، وهكذا يكل المرء علم ما ينساه إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

فالرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول: «وما أنت أعلم به مني» ليس المراد الذنب في المستقبل، فهذا لا مؤاخذة فيه، بل المراد الذنب الماضي الذي قد يكون الإنسان نسيه، فيسأل الله أن يغفره.

قوله: «اللهم اغفر لي جدي، وهزلي، وخطئي، وعمدي»: هذا الذكر فيه إشكالات:

أولاً: «الجد» ضد الهزل، وهو ما قصده الإنسان بلفظه، أو بفعله؛ لأن الإنسان قد يلفظ لفظاً يكون مازحاً هازلاً، وقد يفعل فعلاً يكون هازلاً مازحاً، وقد يكون جاداً في ذلك، فالمراد بالجد هنا ضد الهزل؛ بدليل أنه عطف عليه قوله: «وهزلي».

فإن قال قائل: وهل الهزل يؤاخذ به الإنسان؟



قلنا: نعم، يؤاخذ به الإنسان، أحياناً يكون هزل من كبائر الذنوب، وأحياناً يكون هزل مما يخرج الإنسان من الإيمان، فلو هزل بشيء من آيات الله، أو بشيء من أحكام الله، أو بشيء من صفات الله، أو بالله **عَزَّجَلَّ**، فإنه يكون كافراً.

قوله: «**وخطئي**»: الخطأ يعني ما أخطأ به الإنسان، وهو كقوله تعالى ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (البقرة: ٢٨٦).

فإن قال قائل: كيف يسأل الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أن الله تعالى يغفر له خطأه، مع أن الله تعالى قال: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (البقرة: ٢٨٦)، فقال الله: «**قد فعلت**»؟

فالجواب عن هذا من وجهين:

أولاً: قد يكون هذا الدعاء قبل نزول الآية، فالآية مدنية.

ثانياً: قد يكون هذا من أجل أن الإنسان قد يفعل الخطأ مع تقصير في معرفة الصواب، وهذا يقع كثيراً، بمعنى أن الإنسان يتهاون ولا يحتاط، ولا يبحث بعمق عن معرفة الخطأ من الصواب، وهذا يقع كثيراً، بمعنى أن الإنسان يتهاون ولا يحتاط،



ولا يبحث بعمق عن معرفة الخطأ من الصواب، فيكون بذلك مقصراً.

قوله: «وعمدي»: أي ما فعلته عن عمد، ونقول: كيف نفسر «عمدي» بأنه ما فعلته عن عمد، مع أننا فسرنا «اغفر لي خطيئتي وجهلي» بأن الخطيئة ما فعله عن عمد؟

والجمع إما أن يقال: إن باب الدعاء لا بأس أن تكرر فيه الكلمات بمعنى واحد؛ وإما أن يقال: الخطأ في الأول هو ترك الواجب، وفي الثاني فعل المحرم الذي يخطئ به الإنسان كثيراً.

قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «وكل ذلك عندي»: هذا إقرار واعتراف من العبد بأن كل هذه الأشياء التي سأل الله أن يغفرها له كلها عنده، والإقرار بالذنب بالنسبة لله **عَزَّوَجَلَّ** هو دعاء، يعني أنت إذا أقررت عند الله **عَزَّوَجَلَّ** بذنبك فكأنك تدعوه، كقوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في الدعاء الذي علمه أبا بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: «قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً»، وهذا اعتراف بالذنب، وحقيقته أنك تدعو الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يعفو عنك ما ظلمت به نفسك.



قوله: «اللهم اغفر لي ما قدمت»: أي مما يحتاج إلى مغفرته من تفريط في واجب، أو فعل محرم، واعلم أن النبي ﷺ يدعو بذلك على سبيل التذلل لله عزَّ وجلَّ، وإلا فإنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا يُقَرُّ على محرم.

قوله: «وما أشرت»: أي ما يأتي متأخراً، أي بعد قولي هذا؛ لأن قول الإنسان محفوف بزمنين: زمن سابق، وزمن لاحق، فما فعله في الزمن السابق فهو ما قدم، وما فعله في الزمن اللاحق فهو ما أخر.

قوله: «وما أسرت، وما أعلنت»: ما يفعله الإنسان إما أن يفعله سراً، وإما أن يفعله علناً، ولا شك أن فعله جهراً أشد عند الله تعالى مما فعله سراً، وهذا باعتبار الذنوب والمعاصي، فإن من أسر بالذنوب ليس كمن أعلنه، فالمعلن أشد وأقبح والعياذ بالله.

قوله: «وما أنت أعلم به مني»: هذه مع الأول مكررة، لكن - كما قلنا - إن الدعاء لا بأس فيه من التكرار، ومعناها: ما أنت أعلم به مما فعلت.



قوله: «أنت المقدم والمؤخر»: أنت المقدم للأشياء، وأنت المؤخر لها، فكم من شيء يتوقع الإنسان أن يقع ثم يتأخر، وكم شيء لا يتوقعه الإنسان ثم يأتي، فالمقدم هو الله يقدم ما شاء، والمؤخر هو الله يؤخر ما شاء، مثلاً يقدم فوز إنسان، ويؤخر فوز إنسان، يقدم حياة إنسان ويؤخر حياة إنسان، يقدم موت إنسان ويؤخر موت إنسان، فالأمر كله بيده **عَزَّجَلَّ**.

قوله: «وأنت على كل شيء قدير»: أي: أن الله تعالى على كل شيء قدير، يفعل به بلا عجز، وإن هناك صفتين متقاربتين متشابهتين، وهما القدرة والقوة، فالله **عَزَّجَلَّ** على كل شيء قدير، وضد القدرة العجز، وهو - سبحانه وتعالى - قوي على كل شيء، وضد القوة الضعف^(١).



(١) انظر فتح ذي الجلال والإكرام ١٥ / ٥٣٤، والتعليق على المنتقى ١ / ٢٦.



﴿باب ما جاء في التسليم﴾

عن وائل بن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صليت مع النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكان يسلم عن يمينه: السلام عليكم ورحمة

الله وبركاته، وعن شماله: السلام عليكم ورحمة الله» رواه أبو

داود بإسنادٍ صحيح.

الشرح

أي: بعد التشهد والدُّعاء، يُسَلِّم عن يمينه وعن يساره، فيقول،
عن يمينه: «السَّلامُ عليكم ورحمةُ الله»، وعن يساره: «السَّلامُ
عليكم ورحمةُ الله» وهذا خطابٌ، لكنه خطابٌ يخرجُ به من
الصَّلاة، بخلاف الخطاب الذي يكون في أثناء الصَّلاة.

قوله: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) «السلام عليكم»
فيه السلامة من المؤذيات، «ورحمة الله» حصول الكمالات،
«وبركاته» الزيادة والثبات، فكل واحدة لها وصف إذا اجتمعت .



وتقدم لنا^(١) معنى «السلام عليكم» بأنه خبر بمعنى الدعاء
بالسلامة من كل الآفات الدينية والدنيوية .

قوله: «وبركاته» الأولى الاختصار على «السلام عليكم ورحمة
الله» بدون زيادة وبركاته ؛ لأن أكثر الأحاديث الواردة عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : «السلام عليكم ورحمة الله» فقط ولا
يزيد «وبركاته».





﴿مسألة: إذا قيل: على من يُسلم؟﴾

فالجواب: يقولون: إذا كان معه جماعة فالسَّلام عليهم، وإذا لم يكن معه جماعة فالسَّلام على الملائكة الذين عن يمينه وشماله يقول: السَّلامُ عليكم ورحمة الله.

وإذا سلَّم الإنسانُ مع الجماعة، هل يجب على الجماعة أن يردُّوا عليه؟

الجواب: لا، وإن كان قد روى أبو داود أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرهم أن يردُّوا على الإمام، ويُسلِّم بعضهم على بعض فمراده: أن يسلموا كما سلَّم بعد انتهاء سلامه، فيكون سلامهم بعده كالردِّ عليه، وليس مراده أن يقولوا: عليك السَّلام، لأن ذلك يُنافي عملهم الذي كانوا عليه. وأما قوله: «وَيُسَلِّمُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ» فمراده أن كلَّ واحد يقول: السَّلام عليكم، فكلُّ واحد يُسلِّم على الآخر بهذا اللفظ؛ فاكتمى بسلام الثاني عن الرَّدِّ؛ هذا هو أقرب ما يُقال في رَدِّ هذا السلام، ولا شكَّ أن المأمومين يُسلِّم بعضهم على بعض



بهذا، كما قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** حينما كانوا يرفعون أيديهم يُؤمُّونَ بها قال: «**عَلَامَ تُوْمُونَ بِأَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمُسٍ؟** إنما كان يكفي أحدكم أن يضعَ يده على فخذه، ثم يُسَلِّمَ على أخيه من على يمينه وشماله» .

وهذا يدلُّ على أن السَّلام يقصد به السَّلام على مَنْ بجانبه، لكنه لما كان كُلُّ واحدٍ يُسَلِّمُ على الثاني اكتُفي بهذا عن الرَّدِّ، والله أعلم. ^(١)



(١) انظر الشرح الممتع ٣/ ٢٠٨ . وفتح ذي الجلال والإكرام ٣/ ٤٨٢ . والشرح المختصر على بلوغ المرام ١/ ٥٩٣ . والتعليق على صحيح البخاري ٣/ ٥٤٩ . وشرح رياض الصالحين ٤/ ٣٨١ .



﴿ الفهرس ﴾

المقدمة	٣
من أذكار وأدعية الصلاة	٤
باب ما جاء في تكبيرة الإحرام	٤
باب ما جاء في أدعية الاستفتاح	٦
فصل	٩
فصل	١٧
مسألة : هل هناك أدعية أخرى يُستفتح بها ؟	٢٧
مسألة : هل يجمع بين أنواع الاستفتاح ؟	٢٨
باب ما جاء في التعوذ للقراءة	٣٠
فصل	٣٤
باب ما جاء في البسملة هل هي من الفاتحة ، أم لا ؟	٣٧
مسألة : هل البسملة آية من الفاتحة ؛ أو لا ؟	٤٠
باب ما جاء في قراءة الفاتحة في الصلاة	٤٣
باب ما جاء في التأمين	٥٢
باب ما جاء في أدعية الركوع	٥٤
فصل	٥٩
فصل	٦١



- فصل ٦٤
- باب ما جاء في أدعية الرفع من الركوع ٦٦
- فصل ٧٠
- باب ما جاء في أدعية السجود ٧٦
- فصل ٨٠
- فصل ٨١
- فصل ٨٢
- فصل ٨٣
- باب ما جاء في الدعاء بين السجدين ٨٦
- باب ما جاء في أدعية التشهد ٩٠
- مسألة : هل هناك عباد لله فاسدون؟ ١٠٤
- فصل ١١٠
- باب ما جاء في الصلاة على النبي ﷺ ١١٥
- فصل ١٢٤
- فصل ١٢٧
- فصل ١٢٩
- باب ما جاء في أدعية آخر الصلاة ١٣٢
- فصل ١٤٣



١٤٥	■ فصل
١٥١	■ فصل
١٥٩	■ باب ما جاء في التسليم
١٦١	■ مسألة : إذا قيل : على مَنْ يُسَلِّمُ؟
١٦٣	■ الفهرس



التصميم الداخلي للكتاب

Tharwat Sultan

TharwatSultan@yahoo.com

للتواصل : 00201019530152